القرن الخامس عشر

عصر النهضة الإسلامية

بقلم

عبد الرحمن بغدادي

إعداد وتنسيق

محمد أمين سليمان حجازي – (أبو حميد)

بريطانيا

m.alhijazi@yahoo.com

فهرس الكتاب

الصفحة

مقدمة الكتاب ٤

نهضة الأمة الإسلامية ٧

انطلاقة الاسلام الأولى ٧

كبوات وهزات ٩

انحطاط الأمة ١٠

نهضة المجتمع ١٣

نهضة الأمة الاسلامية ١٥

قيمة التفكير في نهضة الأمم ١٨

النهضة الفكرية (عملية إيجاد الاحساس الفكري في الأمة) ٢٤

معنى الاحساس الفكري ٢٥

اختلاف الاحساس الفكري بين الناس ٢٦

منطق الاحساس وكيفية نشوء الأفكار ٢٩

كيفية أيجاد الاحساس الفكري في الأمة ٣٣

متى تدب الحيوية في الأمة ٣٥

عقباب إيجاد الاحساس الفكري في الأمة ٣٦

حملة الدعوة يسبقون الأمة باتصافهم بالاحساس الفكري ٤٥

النهضة الصناعية والتقنية (١) نظرة الغرب والمسلمين الى العلم والتكنولوجيا ٤٦

أ ــ التنافس التكنولوجي بين الدول الصناعية ٤٧

ب ــ معنى التكنولوجيا والفرق بينهما وبين العلم ٥٠

ج ــ تهديد العلم والتكنولوجيا لحياة الشعوب ٥١

أولا : أخطار التكنولوجيا على الاقتصاد ٥٣

ثانيا : أخطار التكنولوجيا على البيئة ٥٤

ثالثا : أخطار التكنولوجيا على الجنس البشري ٥٦

د ــ موقف الاسلام من العلم والتكنولوجيا ٥٧

هــ ــ حكم تعلم العلوم والصناعاة ٦٣

و ــ إرتباط التكنولوجيا بوحدة الأمة والدولة ٦٤

(٢) كيفية تحقيق التقدم الصناعي والتكنولوجي ٦٥

النهضة على الصعيد التربوي والتعليمي (التخطيط لإعداد مناهج تربوية إسلامية) ٧٥

مادة أصول الدين ومقارنة الدين والمذاهب ٧٨

مادة الفقه الاسلامي ٨٠

مادة العلوم السياسية ٨١
مادة الاقتصاد الاسلامي ٨٢
مادة التاريخ الاسلامي ٨٤
مادة الدعوة الاسلامية ٨٨
مادة الحقوق والقانون الاسلامي ٩١
مادة التربية الاسلامية ٩٤
مادة القضاء الاسلامي ٩٦
مادة الادارة والقيادة ٩٩
مادة التفسير والحديث ١٠٢
مادة العلوم العامة ١٠٥
مادة التكنولوجيا والصناعة ١٠٧

ملاحظة (الصفحة الأولى من هذا الموضوع مفقود) أرجو التكرم ممن يعرف المؤلف

.

بسم الله الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قديما كانت الأمة الإسلامية تحكمها قوانين الإسلام ، وكانت تسيّر حياتها ومواقفها بحسب ما أنزل الله تعالى . ولذلك اعتبرت الأمة رسالتها في الحياة نشر الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ، وذلك بإزالة الحواجز المادية التي تحول دون ذلك . وجاء أمر الله تعالى لأمة الإسلام بالجهاد لتطبيق شرع الله في الأرض ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)) .الأنفال : ٣٩. وهبّت الأمة الإسلامية لا يشغلها شاغل عن محاربة أعداء الله حتى تعلي كلمة الحق ــ كلمة الإسلام ــ ولو في أقصى العالم . عندها خاض عقبة بن نافع الأطلسي وقال : (ياربّ لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك) .(الكامل في التاريخ لابن الأثيرج٣ ص ٣٠٨). وعندها بلغ المسلمون الصين وفرنسا في مائة سنة . وعندها علت مكانتهم بين الأمم فكانوا أعظم دولة في العالم لأكثر من ألف سنة .

وأما اليوم فقد انحطت أمتنا الإسلامية ، وانخفض معها سلوكنا ، واضمحلّ تفكيرنا حتى صرنا نرى في وضح النهار ، الحق باطلا ، والباطل هو الحق . وللأسف خضعنا لأفكار الكفر تغزونا وتعمل فينا هدما وتفريقا حتى هدمنا بأيدينا منارة عزّنا وسرّ حياتنا ومنبع كرامتنا ، دولة الإسلام ، حاميتنا وحاملة رايتنا . ولا زلنا نخضع لحكم الغرب حتى بعقولنا ، ننشد الحياة في الغرب ، ونتطلع إلى دولته قبلة أنظارنا ، فمن قائل يقول : أن الإسلام قد انتهى عهده إلى غير رجعة ، وأن الأمم الراقية اليوم هي التي تسير وراء الحضارة الغربية ، أو وراء العلمانية ، والقومية . ومن قائل يقول : أننا يجب أن نشعر كما يشعر الأوروبي ، ونحكم كما يحكم الأوروبي ، ونعمل كما يعمل الأوروبي ، ونصرّف الحياة كما يصرّفها ، أو قائل يدعو إلى ترك الإسلام وأمته ويتبنّى الشيوعية ويعتبرها مصدر فخر واعتزاز .. وهكذا ..

حتى بلغ بنا الإنحطاط درجة صرنا معها أن استعمار دول الغرب لنا وتحكمه في أراضينا ، يمتص دماءنا ويسلب خيراتنا ، ويذيقنا ألوان الهوان والذلّ طعنا وتفريقا ، صرنا نرى فيه غاية الـمُنَى . وكيف لا ؟ ونحن نتمنّى أن نكون في حِمَى الغرب المتقدّم ، وأن ندور معه

حيث دار ولو تسلّط علينا وأعمل فينا حكم الكفر ، واقتطع من بلادنا أعزّها وقدّمها لقمة سائغة لألدّ أعدائنا : اليهود ، شذّاذ الأفاق ! ثم تجدنا نسعى إلى دول الشرق والغرب مستنجدين طالبين منهم أن يحلّوا لنا مشاكلنا التي صنعوها بأيديهم مكرا بنا وإذلالا لعزتنا ، كي يتمكّنوا من العودة إليها ولا سيما بعد أن رأوا فيها بشائر نهضة ومعالم صحوة . نفعل ذلك كله مع أن أمر الله واضح لكل ذي عينين ((ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنتصرون)) هود : ١١٣.

وبعد أن كنّا نرى احتلال الكفار لنا عارا يلطّخ جبيننا ويلزم الموت دونه ، وذلك إستجابة لأمر الله تعالى : ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ..)) البقرة : ١٩٠ ((واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ..)) البقرة : ١٩١. فاستجبنا لأمر الله تعالى . وهببنا للزود عن أحكام الإسلام وراية الإسلام وبلاد الإسلام ، ورأينا كل ما عدا ذلك من العيش الرغيد رخيصا دون الإبقاء على دولة الإسلام ورايته . ولذلك رددنا الصليبيين على أعقابهم إذ جاؤونا غازين ، وتصدّينا للمغول وقلبناهم من كفار إلى مجاهدين في سبيل الله .

وأما اليوم ، فقد صرنا نرى أن الإستعمار يقرّبنا من الغرب ، وصرنا نرى في الغرب قبلة أنظارنا ومدار تفكيرنا وجلّ احترامنا وتقديرنا ، حتى صرنا نتمنّى أن تأتي قوى الغرب على ضراوتها لحمايتنا وحلّ مشاكلنا ، مع علمنا بأنّ الغرب هو الذي صنع لنا هذه المشاكل فأوجد لنا الحروب المحلية الداخلية كحرب لنبان ، وأوجد لنا النزاعات على الحدود ، وزرع اليهود شوكة في قلب فلسطين ، وأوجد المنظمات الفدائية لتركيز هذه الدولة المسخ كي تقبل بها شعوب المنطقة على المدى الطويل ، وبعد إدخال اليأس إلى النفوس من عدم جدوى الصراع مع اسرائيل . ومكّن النصارى من الإستيلاء على عذراء ماليزيا (الفلبيين) ومن العمل على تنصير المسلمين في آسيا وأفريقيا .. وهكذا أَغْرَقَنَا بالمشاكل وتَظَاهر بالعمل على حلّها كي يُحكِم علينا الطوق ويُجْهِز على هذه الأمة الإجهاز الأخير .

وقد غفلنا أو غاب عنّا تحذير الله لنا من الوقوع في حبائل الكفار : ((يا أيها الـــذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين)) آل عمـــران : ١٠٠. ((ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد ايمانكم كفارا حســـدا مـــن عنـــد أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)) البقرة : ١٠٩. ولكن بالرغم من كل ما جرى ، فـــإن هذه الأمة لم تمت بعد ، وظنّ الغرب في أوائل هذا القرن أنها قد انتهت وقضي عليها ، ولكن خاب فأله لما رأي الإسلام قد عاد يتحرك في النفوس ويحرّكها لإيجاده في مكان الصدارة بين الشعوب والأمم ، ولا سيما بعدما أدرك المسلمون أن سبيل نهضتهم الوحيد هو في الإسلام ، وفي إستئناف حياتهم الإسلامية من جديد عن طريق إعادة دولة الإسلام إلى الوجود الـــدولي مرة أخرى .

ونحن اليوم ندرك يقينا أن الغرب إذا استطاع أن يغلبنا في وقت ضعفنا ، فلم يكن ذلك راجعا إلى قوته ، بل كان لانحطاط تفكيرنا وجهلنا ، وعدم فهمنا لأفكار الإسلام . فاستطاع الغرب أن يضلّلنا ويغزونا بفكره ومن ثم بقواته . وأننا وقد أدركنا أن بعودتنا إلى الإســـلام وأفكار الإسلام تكمن عزّتنا ويكمن تحريرنا من ربقة الإستعمار ، فإن الأمل بحصول النهضة في كافة مجالات الحياة ابتداء من الإرتفاع الفكري على أساس الإسلامي ، و مرورًا بالانقلاب التشريعي ، وانتهاءً بالنهضة التقنية والصناعية في مجال الصناعات الثقيلة ، بما في ذلك صناعة الأسلحة . هذا الأمل قد بات وشيكا ، وليس مستحيل الوقوع كما يظن بعض الســـطحيين السذّج من أبناء هذه الأمة ، والله من وراء هذه الأمة ، ولن يضيعها أو يتركها هكذا لقمـــة سائغة للكفار (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

المؤلف

نهضة الأمة الإسلامية

ان نهضة الجماعة من الناس تظهر في استقلال قرارها وتكافلها ووحدة رأيها ورسالتها الى غيرها من الأمم ، الى غير ما هنالك من القيم . لكننا نجد الأمة الإسلامية اليوم ، ويا للأسف على هذا الواقع من فقدان لإنتماء والعزّة والكرامة ، وتدخّل للأعداء في شؤونها الداخلية ، وارتهانها لدول الكفر ، الى غير ما هنالك من مظاهر التخلّف . واذا كان هذا الواقع كبوة لهذه الأمة العظيمة ، فما هو السبيل للنهوض من كمبوتها ؟.

إنطلاقة الإسلام الأولى :

قبل أن نبيّن كيفية نهضة الأمة الإسلامية اليوم ، وهي تعاني الأمَرّين من جراء المواجهة التاريخية مع أعدائها من اليهود والنصارى الذين تحالفوا في جميع أنحاء الأرض ، لأجل العمل على كبح جماح الإسلام العظيم . لا بدّ أن نبيّن كيف نهضت الشعوب التي دانت للإسلام قديما ، وكيف استطاع الإسلام أن يجعل منها أعظم وأقوى أمة على الإطلاق . فالكلّ يعلم أن العرب قبل الإسلام كانوا قبائل متناحرة ، وشراذم متفرّقين في الصحراء ، يغزو بعضهم بعضا ويعتدون على حرمات بعضهم ، ولم تكن الشعوب الأخرى من الأعاجم قاطبة بأحسن حالا من الشعب العربي ، فقد كانت الحروب تدور رحاها بين الأمبرطوريتين القويتين : فارس والروم ، وكانت الشعوب تئنّ من وطأة هذه الحرب الطويلة المدى ، فكانت تسترقّ وتمتهن كرامتها ، وكان الظلم والفساد مستشريين وينذران بسقوط حضارة هاتين الدولتين ، وكان بعض أهل الكتاب كبني يهود يسامون أشدّ العذاب ويُقتّلون ويُذبّحون ولكنهم كانوا يأملون بمجيء النبي المنتظر ، الذي حدّثتهم عنه التوراة .

وفي المجتمع الجاهلي خاصة ، في مكة وسائر جزيرة العرب ، كان الانحطاط باديا في كلّ ناحية من نواحي الحياة ، فكانت عبادة الأصنام وعبادة الكواكب وتقديم النذور والقـــرابين للأصنام ، وكانت مظاهر الشرك منتشرة في كل مكان حتى لقد بلغت الأصنام التي تعبـــدها العرب نحوًا من ثلاثمائة وستين صنما ، وكا الإيمان بالخرافات والأساطير سائدًا بـــين النـــاس وكثيرًا ما يلجأون الى الكهّان والمنجّمين لاستطلاع الغيب ومعرفة الطالع من قبلـــهم وعـــن طريقهم . وكان الزنى والبغاء رائجا حتى كان الرّهط ما دون العشرة يدخلون علـــى المـــرأة فيصيبون منها ، فإذا ما حملت ووضعت أرسلت اليهم وألحقت الولد بأحدهم ، وكان البغايا خاصة ينصبن على أبوابهنّ رايات تكون علما عليهنّ . وكانت المرأة تباع ، وتـــورث كمـــا يورث المتاع حتى أن الولد كان يرث زوجة أبيه ، وكانت توئد وهي وليدة . إذ كان الرجل الضعيف كثيرا ما كان يخشى الفقر فيقتل ولده أو يَئد ابنته خوف الفقر والعار . وكان العبيد والإماء الذي كانوا يكثرون في كلّ مكان ، تمتهن كرامتهم بصور شتى ومختلفة ، وكانـــت الحياة الاقتصادية تقوم على كاهلهم ، فهم الذين يحلبون النوق والأغنام ، ويزرعون ويقودون قطعان الماشية ، ويخدمون في القوافل التجارية ، وتوكل إليهم الـــمِهن التي يأنف المجتمع منها كالحدادة ونحوها .

فهذا المجتمع المنحط كان بأشد الحاجة الى نبي يأخذ بيده نحو الخير ويهديه السبيل ، كما كان العالم كله بحاجة الى رسول يعيده الى جادة الحق ، وينير له الطريق كي ينهض من كبوة الجاهلية التي لفّته لفّا وأغرقته في الملذّات والشهوات ، وفي الركض وراء المنافع والمطامع ، ولم يكن هناك من مخلص للبشر الاّ في السير وراء رسالة سماوية ، تبصرهم بالحقائق وتضع لهـــم المعالجات لما كانوا يتخبطون فيه من حياة شقية في ظل الشرائع القديمة ، وفي ظلّ الـــديانات السماوية التي حرّفت وغيّرت وبدّلت . وكانت الرسالة الجديدة تقتضي أن تكون عامة للبشر ناسخة لما قبلها من الشرائع والأديان . وهذا ما كان برسالة محمد بن عبد الله عليه الصـــلاة والسلام . فقد أرسل الله نبيه عليه الصلاة والسلام برسالة الإسلام ليقوم بهذه المهمة التاريخية الضخمة في تغيير حياة البشرية جمعاء ، والنهوض بها الى مستوى راق يليق بالإنسان ((يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهّر ، والرّجز فاهجر)) المدثر ١ــ ٥ . ((يـــا

أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا .)) الأحزاب : ٤٥ ــ ٤٦ . وأمَرَهُ الله بحمل الدعوة بالطريق الفكري والسياسي أولا ، حتى اذا حقّق النجاح لدعوته في الوصول الى الحكم في المدينة ، أَمَرَهُ حينئذ بحمل الدعوة بالطريق العسكري ، قال تعالى : ((يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)) التحريم : ٩ . فاستطاع بعد تسع سنين قضاها في الحكم ، أن يحوّل العرب إلى أمة إسلامية موحّدة ، حين جاءته القبائل في السنة التاسعة من الهجرة تعلن إسلامها وتدخل في دين الله افواجا .

وقد نهضت أمة الاسلام على هذا الأساس ، فاتخذت من الاسلام نظاما تطبقه فيما بينها ، وتدعو غيرها من الأمم الى تطبيقه . فمضت حاملة رسالة الإسلام الى العالم لا يوقفها شيء عن الجهاد في سبيل الله حتى يعمّ الإسلام الدنيا . ففتحت الشام والعراق و مصر وإفريقية وفارس والسند والهند وبلاد الترك والأندلس ، وبلغ المسلمون الصين شرقا ، وفرنسا غربا ، وتوغّلوا في بلاد الغولغا شمالا ، في دولة إسلامية واحدة .

كبوات وهزّات

بعد سلسلة من الإنتصارات التي حقّقها المسلمون في آسيا وأفريقيا ، وبعد أن دانت لهم الأرض وملّكهم الله إيّاها ، وجعل لهم السيادة والحكم والسلطان فيها ، وبعد أن نعمت الأمة بعهود طويلة من الرّخاء والازدهار إستمرّت نحو ستّة قرون ، تشاغلت الأمة بالدنيا ، وقعدت عن الجهاد ، وحصرت همّها بأمور المعاش من تجارة وعلوم وفلسفة وفنون وما الى ذلك ، وانحطت همّتها ، عن حمل رسالة الإسلام ، مما سهّل على الأعداء أن ينالوا منها . فحصلت كبوات عديدة لها ، غير أنها سرعان ما استفاقت منها . فقد جاءت الحملات الصليبية ، فتوغّلت جيوش في بلاد الشام ومصر ، مستغلة تفرّق المسلمين فيها الى دويلات متناحرة . لكن الأمة سرعان ما انتفضت من سباتها ، ونفضت عنها غبار الذل ، فطردت الصليبيين على

أعقابهم وحرّرت بلاد الشام ومصر من احتلالهم لها ، وأعادتها الى حكم الإسلام بعد حروب طويلة المدى دامت ما يقرب من مائتي عام .

وبعدها جاء اجتياح المغول سيلا يجرف أمامه كلّ ما يقف في طريقه . وقد حصلت هذه الغزوات في وقت بلغ فيه المسلمون غاية التشاغل بأمور المعاش والتفرّق من أجله . كما كانوا قد فقدوا روح الأمة التي تتكاتف وتتعاضد وتقف وقفة رجل واحد لأجل البقاء على وحدتها والحفاظ على دولتها ورايتها . فانهزم المسلمون شرّ هزيمة ، حتى إنهم أباحوا للمغول أنفسهم وبلادهم يعملون فيها القتل والحرق والنهب ، دون أن يتجرّؤوا على رد ذلك . ويروى المؤرخون أن التتار كانوا اذا دخلوا مدينة استباحوا أربعين يوما ، فقتلوا من قتلوا ، وحرقوا ونهبوا وسبوا نساء المسلمين ، وكان الواحد منهم يدخل الى مخبأ قد تحصن فيه الجمع من الرجال ومعهم النساء والولدان ، فيقول : ليس معي ما أقتلكم به ، فانتظروني أعود بسفي ، ثم يغيب ساعة فيعود وما هرب منهم أحد ، فيحزّ رقابهم أرسالا وما يردعه رادع (أنظر بتفصيل عن جرائم التتار في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ – ص ٨٣ – ٨٨ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٩ ص ٣٢٩ – ٣٨٦) .

لقد بلغ المسلمون في تلك الفترة غاية الضعف والذل ، يمعن الكفار في تقتيلهم والتنكيل بهم ، وهي خانعة مستسلمة لا تلوى حراكا ، ورغم كلّ ما وصلوا اليه استعادت الأمة عافيتها بعد ذلك ، ونفضت عنها غبار الذلّ وحبّ الدنيا ، وعادت أقوى مما كانت ، تفتح البلدان . فاستؤنفت الفتوحات في أوروبا ، وبلاد الهند والبنغال ، حتى دكّ المسلمون أسوار فيينا وبلغوا سيليزيا في بولندا .

إنحطاط الأمة :

بعد أن حافظت دولة الخلافة أيام العثمانيين على هيبة الأمة والدولة الإسلامية مدة أربعة قرون ، عنيت فيها الدولة بقوة السلطان وتنظيم الجيوش ، وأبهة الحكم ، واشتغلت

بالفتوحات . كانت بوادر الاضمحلال تلوح في الأفق ، لأن العثمانيين الذي تسلموا حكم أكثر العالم الإسلامي في القرن التاسع الهجري ، كانوا قد أهملوا أمر اللغة العربية ، مع أنها ضرورية لفهم الإسلام ، وشرط من شروط الاجتهاد ، ومعلوم أنه لا تقدم للأمة ولا للدولة الا بوجود الاجتهاد . ولأنها لم تعن بأمر الإسلام من حيث الفكر ، ومن حيث التشريع ، فانخفض مستواها الفكري والتشريعي ، وبسبب ذلك كانت الدولة قوية قوة ظاهرية ، ولكنها في الحقيقة ضعيفة ضعفا بيّنا ، بسبب الضعف الفكري والتشريعي . الا أن هذا الضعف لم تلاحظه الدولة حينئذ ، لأنها كانت في عنفوان مجدها ، وفي أوج عظمتها ، وفي منتهي قوتها العسكرية . ولأنها كانت تقيس فكرها وتشريعها وحضارتها بأفكار أوروبا وتشريعاتها وحضارتها ، فتجد نفسها خيرا من أوروبا فكرا وتشريعا وحضارة ، فترتاح لذلك وترضى بهذا الضعف ، لأن أوروبا كانت تتخبّط في دياجير الجهالة وظلام الفوضى والاضطراب ، وتتعثّر في محاولات النهضة وتفشل في كل محاولة تقوم فيها .

وما أن ظهرت النهضة الصناعية في أوروبا وجاء الغزو التبشيري ، حتى عملت دول أوروبا على نشر أفكارها في بلاد الإسلام واتخذت من (مالطة) مركزا لها ، ثم تحوّلت عنها الى (بيروت) ، كما كانت إرساليات التبشير النصرانية ترافق المستعمرين أينما حلّوا وارتحلوا ، حتى عمّت الأفكار الدخيلة بين المسلمين ، وفقد المسلمون الثقة بالإسلام . وأحكامه بعد أن انطلى عليهم خداع الدول الصناعية الكافرة . وحتى وجد منهم من يطالب بترك الاسلام وأحكامه وحضارته واتّباع الغرب وأحكامه وحضارته ، وجاءت دعوة القومية تفتّ ما تبقى من وحدة المسلمين ، وتعلن من بلاد الكفر سنة ١٩١٣ م إثر اجتماع القوميين العرب في باريس ، الانحياز الى انجلترة وفرنسا والهجوم على دولة الخلافة بحجة نشر الوعي القومي . فانتهى الأمر بالمسلمين أن هدموا رمز عزّهم وقوتهم ، دولة الاسلام ، وغدا حالهم على ما نشاهده اليوم .

إن واقع المسلمين الحالي من أسوأ الفترات ، بل هو أسوأ الفترات على الاطلاق ، فالأمة اليوم تركت العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وتخلّت عن الاسلام كمنهج حياة ونظام عيش ، وارتضت نظام الكفر يحكم ربوع الإسلام دون أن تنكر ذلك ، وقد استولى عليها أعداءها الكفرة فقسّموا بلادها الى أكثر من خمسين دولة ، واغتصبوا منها بعض البلدان كفلسطين والفلبين ، ومالطة وقبرص واليونان ، وفطاني والهند ، وغيرها ، وشاركوها في شؤونها كلها كي يُحكموا القبضة عليها الى الأبد . وجعلوها تعيش في فقر مدقع كي تجعل همّها في لقمة العيش ، وتترك العمل للتغيير . وبعد أن ركنت الى مشاغل الدنيا وصار همّ كل مسلم هو طلب المعاش ، ولم يعد يهمّه أمر أمته ولا عزّتها أو رفعتها في شيء ، بل انصرف كلّ إلى طلب معاشه لا يكترث في هذه الحياة لغير طلب رزقه ، حينئذ أقعدوها عن العمل للاسلام ، وسلّطوا عليهم حكاما ظلمة عملوا على قهرها وإذلالها ، وتركوا للكفار أن يحكموا في قبضتهم على ديار الاسلام ، يستغلّون خيراتها ويسلبون ثرواتها ، حتى أشركوهم في حصص البترول ، والغاز ، وفي سائر المعادن الموجودة في بلاد الاسلام ، حتى صار للكفار مصالح في بلاد ، وصار المسلمون يقرّونهم عليها ويسكتون على تهديدات أمريكا باحتلال منابع النفط في الخليج بحجة حماية مصالحها ، ويرى حكّام المسلمين أساطيل الدولتين العظمتين تجوب عباب المتوسط والهندي والمضائق الاسلامية ، وتجعل من نفسها بوليسا دوليا ، وهم ساكتون لا ينبسّون ببنت شفه ، ولا يعترضون على وجود هذه الأساطيل التي تعتبر مصدر خطر وتهديد للمسلمين ، بل وحتى للحكام أنفسهم مثلما حصل في اليمن الجنوبي ، وفي ليبيا ، وأنغولا ، وفي كثير من بلاد المسلمين .

لقد فقد أمة الإسلام اليوم معنى العزة والكرامة ، وفقدت إرادتها الدولية ومعنى استغلال قرارها السياسي ، ولم تعد تفهم السياسة الدولية وماذا يعني تدخّل الدول العظمى في شؤونها . فها هم حكامها اليوم قد تخلّوا عن استقلالية قرارهم لدول الكفر ولا سيما الدول الكبرى منها . وفي البأساء والضراء وحين البأس نجدهم يسارعون الى دول الغرب ، يلتمسون منها المساعدة والرضا ليحلّوا لهم مشاكلهم في هيئة الأمم ، أو عن طريق مؤتمر دولي للسلام ، أو

ما إلى ذلك . وها هم المسلمون يفتحون بلادهم لجيوش الكفر كي تحمي (مصـــالحها) في بلاد الإسلام ، وتبني فيها القواعد العسكرية الثابتة والمتحركة .

لقد فقد كلّ فرد في الأمة الإسلامية كلّ إنتماء وكلّ قضية . فالمسلم في هذه الأيـــام لا ينتمي للإسلام فيعمل لدينه ويضحّي من أجل إنتمائه . حتى أنه لا يشعر بالإنتماء لقوميته أو لوطنيته التي عمل ولا يزال يعمل حكام المسلمين على إثارته فيه ، فيشعر بمدى ذلّ قومـــه أو انحطاط شعبه . لقد أصبحت قضية المسلم اليوم أن يعمل لدنياه قبل آخرته ، وذلك بأن يحصل أكبر قدر من المتاع ، ويؤمّن (مستقبل) أبنائه ، ويعيش عيشا رغيدا ، وَيكَأَنّ هناك عـــيش رغيد والأمة على ما هي عليه من ذلّ وهوان وعذاب ، وَيكَـــأَنّ اســـتغلال أمتـــه وشـــعبه واستعمارها لا يعنيه من قريب ولا من بعيد ! وذلك منتهى الانحطاط والتخلف .

لقد بلغت أمة الإسلام أقصى درجات الإنحطاط ، وهي تلهث ذليلة وراء الأمم الكافرة ، تستجدي عطفها ، وتطلب العون والمساعدة منها ، وتعيش وفق طريقة عيشها وبحســـب قوانينها وتشريعاتها ، فما هو السبيل الذي يجب عليها أن تسلكه للنهوض من كبوتها ؟؟ .

نهضة المجتمع :

إن نهضة الإنسان الفرد إنما تكون بتحقيق معنى الإنسانية ، وذلك بالفكر ، لأن الإنسان إنما يتميز عن غيره من المخلوقات بالعقل ، أي بما وهبه الله من قدرة على الـــتفكير وعقـــل للأشياء التي تحيط به لتحديد موقفه منها . ولأن هذا الفكر إن كان أساسيا أي فكـــرا عـــن الوجود كله وما يتعلق به ، فإنه ينبثق عنه نظام للحياة يرتقي بحسبه السلوك الإنساني . فإذا تبع الإنسان فكره دون غرائزه نهض وارتقى ، وعاش عيشة الإنسان ، وتحققت له مقوماتهـــا من العزة والكرامة والقيم الرفيعة ، وهذا إن كان فكره مصدره الوحي من عنـــد الله تعـــالى

خالقه وبارئه . أما إن كان مصدره العقل ، فإنه وإن كان قد يحقق له نهضة ، ولكنها قد تكون راقية أو منخفضة ، وقد تكون خالية من القيم الرفيعة ، فلا تعطي وزنا إلا للمادة ، وقد تحقق للإنسان عزته وكرامته وقد لا تحقق . فما كان مصدره الانسان فإنه يكون قاصرا عن النهوض بالانسان إلى المرتبة التي تليق به كانسان ، بل قد يهوي به الى درك الحيوانية في فوضوية الغرائز والشهوات . ولعل الحياة التي يعيش عليها الإنسان في العالم منذ ظهور المبدأ الرأسمالي الذي أطلق العنان للشهوات والحريات للفرد ، والمبدأ الاشتراكي والشيوعي الذي كبت هذه الحريات وأثار الشهوات الكامنة في نفس الإنسان ، حتى جعله كالبهيمة سواء بسواء ، أصدق دليل على ما نقول . فإن الإنسان إذا ما تبع غرائزه دون فكره فقد انعدم العقل في حياته ، وفقد كل معنى للقيم فيها فانحطت به إلى مستوى الأنعام . يقول الله تعالى واصفا هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم وغرائزهم واستجابوا لمكامن الشهوات في النفس : ((أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا)) (الفرقان ٤٣، ٤٤) ويصف تعالى الذين لا يعملون عقولهم في الوصول الى إدراك حقائق الأشياء حولهم بأنهم شر البهائم فيقول تعالى : ((إن شر الدوات عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)) (الأنفال ٢٢) .

وكما ينهض الفرد بالفكر ، فإن جماعة الناس تنهض بالفكر أيضا ، لكن الفرق بين الجماعة والفرد : أن الجماعة لها مقومات لا بد من جعل الفكر أساسا لها حتى تنهض بمجموعها . فإذا كان السلوك الفردي وارتقاؤه مظهرا من مظاهر نهوض الفرد ، فإن نهضة الجماعة تظهر في استقلال فكرها وتشريعها ، واستقلال قرارها السياسي وفرض كلمتها الدولية ، ومنع الدول الكبرى من التدخل في شؤونها ، كما تظهر في تكافلها وتعاضدها ووحدة رأيها ، الى غير ما هنالك من القيم الاجتماعية .

فما هي مقومات نهضة الجماعة من الناس ؟.

للجواب على ذلك نقول : إن جماعة الناس ـــ كما هو معلوم ـــ لا تكوّن مجتمعا اذا لم

يجمعها شعور واحد ، وتسودها أفكار واحدة ، وتربطها علاقات دائمية يحكمها نظام عيش واحد . فهذه مقومات ثلاث لا بد منها حتى ترتقي جماعة الناس لتكوّن مجتمعا : أفكار واحدة ، ومشاعر واحدة ، ونظام واحد . لذلك فإن ركّاب سفينة ما ، في رحلة ما ، مثلا ، لا يكوّنون مجتمعا مع كونهم جماعة ، لأنه لا يجمعهم تفكير واحد أو شعور واحد ، ولا تركز حياتهم على أساس نظام واحد . أما سكّان مدينة ما ، أو حتى قرية صغيرة ، فإنهم يشكّلون مجتمعا ، لأنه تربطهم أفكار عامة وشعور واحد ، ولأن بينهم علاقات دائمية قد أوجدتها المصالح المشتركة بينهم ، وكانت هذه العلاقات يحكمها نظام معين ، فكانوا بذلك مجتمعا .

وهذه المقومات الثلاث لا بد أن تحكم بالفكر ، بأن يكون المجتمع تبعا لأفكاره وليس لمشاعره . فاجتماع هؤلاء الناس يجب أن يكون لأسباب فكرية وليس لأسباب غريزية . فإذا كان اجتماعهم من أجل تحصيل المعاش ودرء الأخطار ، غدت هذه الجماعة تماما كقطيع الغنم أو كجماعة الأنعام تربطها نفس الأسباب . أما المجتمع الانساني فلا بد أن يكون سبب تكوينه فكريا لا يمت إلى الحاجات والغرائز بصلة ، كأن يجتمع الناس على دين إنساني واحد ، أو على مبدأ واحد فيشكلوا أمة ، ومعنى أن يجتمع الناس على دين أو مبدأ هو أن يتخذوه أساسا لحياتهم ومنهاجا لعيشهم ، ويجعلون ذلك أمرا مصيريا يحدد إنتماءاتهم وهويتهم . فإذا لم يتم ذلك لم تتحقق فيهم مقومات النهضة . وبعبارة أخرى ، فمتى اتخذ الناس الدين أو المبدأ الذي يؤمنون به أساسا لحياتهم ومنهاجا لعيشهم ، بحيث يشكل المجتمع أفكاره وآرءه العامة عليه ، ويكوّن مشاعره بحسبه ، ويسير في إقامة علاقاته على أساسه ، فقد تحققت النهضة في تصرفات الجماعة .

نهضة الأمة الإسلامية :

إن من الحقائق التي يجب أن تكون بديهيات لدى الأمة هي : أن الإسلام مبدأ يقوم على عقيدة ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) وأنه ليس دينا روحيا فحسب ، ولا مفاهيم

لاهوتية أو كهنوتية ، وإنما هو طريقة معينة من العيش يجب على كل مسلم وعلى المسلمين جميعا ، أن تكون حياتهم حسب هذه الطريقة وحدها بحيث لا يطمئنّون فكريا ونفسيا إلا في هذا النوع من العيش ، ولا يشعرون بالسعادة إلا فيه . لذلك فما على الأمة الإسلامية إلا أن تتخذه منهاج حياة ونظام عيش إذا ما أرادت أن تتحقق لها النهضة . فإذا أدرك المسلمون أن إجتماعهم إنما كان على الإسلام ومن أجله ، أدركوا أن الحفاظ على عقيدة الإسلام أمر مصيري يستلزم منهم بذل الغالي والرخيص دونه . وإذا حصل ما يهدد تطبيق الاسلام في المجتمع بذلت الجماعة حياتها دون ذلك وإذا جاء معتد هبت الأمة كلها لرد العدوان ، واذا حصل ما يهدد كيانها انبرت وضحت بكل شيء في سبيل إزالة هذا التهديد ورفع الخطر عنها . وإذا مرت على المجتمع والأمة ظروف صعبة كما يحصل اليوم ، إنبرت الامة من أقصاها الى أقصاها لتصحيح هذا الوضع الشاذ . لأنها إن لم تفعل ذلك فَقَدَت مبرّر وجودها ، وهو مبدأ الإسلام ، وإذا فقدته فقدت مقومات كونها أمة إنسانية ، وغدت كأمة الأنعام يسخّرها الناس .

ولعل من أسمى مظاهر النهضة عند أمة الإسلام أنها تعتبر نفسها حاملة الرسالة الى البشر قاطبة . فأمة الإسلام خير الأمم ، ما حملت رسالة الإسلام الى الناس ، واستمرت على ذلك . قال تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) آل عمران ــ ١١٠ . فحدد الله تعالى أن أمة الاسلام خير الأمم ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، أي ما دامت تتخذ الإسلام نظاما ، وتحمله للناس . ولذلك يروى عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية ثم قال : من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها (تفسير الطبري الأثر ٧٦١٢) . ولذلك أيضا لم تأل الأمة في السابق جهدا في سبيل نشر كلمة الله في بقاع الأرض . و لم تتوقف الأمة عن الجهاد الا عندما انحطت الهمم ، وانشغل أفرادها بحب الدنيا .

لذلك فإن نهضة الأمة الاسلامية إنما تكون باتخاذها الاسلام منهج حياة نهائي ونظـــام عيش شامل ، ورسالة تحملها الى العالمين تكون شغلها الشاغل في هذه الحياة . فإذا ما أرادت الأمة النهوض من كبوتها ، فلا بد أن يكون الاسلام بالنسبة لها أمرا مصيريا لا يهنأ لها عيش دونه . وهذا يتطلب التضحية بكل ما في هذه الحياة . والله تعالى يقول : ((قل متاع الـــدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلا)) النساء ـــ ٧٧ . فإذا ترك المؤمنون حب الدنيا وطلبوا الآخرة في العمل للإسلام ، كانت لهم العزة والسيادة في الدنيا فكسبوا بـــذلك الآخرة والدنيا معا . يقول رب العزة : ((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون ، وعدًا عليه حقا في التوراة والانجيل والقـــرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم)) سورة التوبة ـــ ١١١ .

واتخاذ الاسلام نظاما لهذه الأمة يقتضي الوعي على أحكامه وفهمها والحرص عليها كل الحرص . فإنه لم يوصلنا الى ما نحن عليه اليوم سوى الضعف الشديد في فهم الاسلام ، والذي طرأ على أذهان المسلمين في مواجهة الأفكار الغربية في القرن الماضي . فاذا ضـــعف فهـــم الاسلام سهل على الأفكار الدخيلة أن تتسرب الى مجتمع الإسلام ، تثير فيه البلبلة وتؤدي به الى ترك أحكام الدين ، وكذلك فإنه يقتضي الوعي السياسي على شؤون الأمـــة ورعايتـــها والحذر من كل موقف قد يشكل جسرا للكفار ينفذون عبره الى مجتمع الاسلام .

فنهضة الأمة الاسلامية تكون بالعودة الى الاسلام ونبذ كل ما عداه ، أمـــرا مصـــيريا يستلزم البذل والتضحية في سبيله . فإما أنها أمة اسلامية يسودها شرع الله وإما أن لا تكون . وهذا يشكل لنا خير إنتماء ، وخير قضية وهدف في الحياة ، كما أنه يشكل أفضـــل رابـــط وخير رسالة . لقد قالها نبي الأمة صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : ((لقد تركت فيكم شيئين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ، كتاب الله وسنتي)) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه بألفاظ متقاربة وذكره الواقدي في كتاب المغازي ـــ ١١٠٣ وابن هشام في السيرة

ـــ ٩٦٨ وابن حجر في المطالب العلية رقم ١٢٠٢ وغيرهم . وها نحن اليوم نلمس صـــدقه صلى الله عليه وسلم عندما تركنا التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ، فقد ضللنا وعمي علينـــا رؤية الحق ، حتى أننا في كل مرة كنا نحاول فيها النهوض على أساس ما عند الأمم الأخرى ، إنتكسنا وساءت أحوالنا . فلعل ذلك يدفع الأمة بعدما جربّت كل المبـــادئ والأنظمـــة أن تستجيب لقول الله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)) سورة الأنفال ـــ ٢٤ .

قيمة التفكير في نهضة الأمم :

لا شك أن التفكير سلاح الأمم ، تنهض به حين يزدهر وينشط ، وتتخلف حين يخبـــو ويضمحل . وإنما بقاء الأمم بدوام شعلة الفكر فيها ، وإنما إضمحلالها بانطفاء هذه الشعلة ، وقد أدرك الصحابة الكرام وهم الجيل المسلم الأول هذه الحقيقة فكانوا يقولون : (إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر) . " أورده السيوطي في الدر المنشور ج٢ ص ٤٠٩ " . وكـــان بعضهم يرون التفكر من أفضل العبادة ، فقد أخرج ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد في الزهـــد وابن المنذر عن ابن عون قال : سألت أم الدرداء ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء ؟ قالت : (التفكر والإعتبار) " الدر المنشور ج ٢ ص ٤٠٩ "

.

وهذا التفكير ليس هو البحث في الأمور غير المحسوسة ، أو البحث في الماورائيات " أي في ما وراء الطبيعة " . أو إقامة الفرضيات والاستناد إليها . وإنما هو التفكير المنتج في الوقائع التي تحصل للإنسان في كل يوم وفي كل ساعة . والتفكير في الأمور المحسوسة ، والبحـــث في الطبيعة وما فيها للاستفادة مما فيها من أشياء ولتأصيل الإيمان بالله تعالى عن طريـــق النظـــر والتفكير في مخلوقات الله . هذا هو التفكير الذي يوجد لدى الأمة القدرة على الحياة الناهضة ، ومثله يؤدي الى الحكم على الأشياء وتعيين المواقف منها ، ويؤدي بالتالي الى ترجمة هـــذه المواقف الى أعمال مادية . فالفكر هو الذي يترتب عليه عمل مادي ، وهو الذي يؤدي حتما

الى نتيجة محسوسة ، وذلك بالسرعة الكافية . فإذا لم يكن للأمة مثل هكذا تفكير ومقـــدرة على تعيين المواقف وإقامة الأعمال المادية ، لم تكن الأمة جديرة بالحيـــاة ، فغلبتـــها الامـــم وتكالب عليها الأعداء ، دون أن تستطيع رد ذلك .

ومثل هذا التفكير يبرز في شكلين : التفكير التشريعي ، والتفكير السياسي . فـــالأول تفكير لمعالجة مشاكل الحياة ، والثاني تفكير لرعاية شؤون الناس ، وكل منهما ضروري للأمة حتى تستمر في الحياة . والتفكير التشريعي هو ذلك التفكير الهادف الى إستنباط التشـــريعات لمعالجة ما قد يحصل في كل يوم من الحوادث . وهنا لا بد من تحديد موقف الأمة والمجتمـــع من مثل هذه الحوادث ، وتبيان خطئها اذا كانت تخالف عقيدة الأمة ومنهاجها في الحياة ، أو صحتها اذا كانت كذلك . فعجلة الحياة تدور ، ومعها تنشأ مستجدات كثيرة لابد من تحديد الموقف تجاهها ، وإلا كانت الحيرة والجهل ، ودبت الفوضى في جسم المجتمع . ومـــن هنـــا تتحتم ضرورة الحيوية في أي نظام تشريعي ، فإنه يجب أن يكون شاملا لكل مستجد ولكل حادث ولكل طارئ ، اذا كان بالفعل يصلح لكل زمان ومكان .

وفي الأمة الإسلامية ، يبرز الاجتهاد في حياة الفرد والدولة والمجتمع ، بوصفه تفكـــيرا تشريعيا يهدف الى استنباط حكم الشرع من النصوص الشرعية ، وبالتالي تحديـــد موقـــف المجتمع الإسلامي والدولة والناس من كل جديد . وقد كان هذا النوع من التفكير مزدهـــرا لدى الأمة الإسلامية ، وكان شغلها الشاغل حتى القرن الرابع الهجري . وكان سبب ذلـــك حرص الأمة الشديد على أحكام الإسلام وشرع الله ، وبيان ما يرضيه وما يســـخطه . وفي أواخر القرن الرابع الهجري ، ظهر بين الناس من ينادي بتعطيل الاجتهاد ، ويعمـــل علـــى اقناعهم بخطره ، حتى تم له ما أراد ، واقفل باب الاجتهاد .

وعندما كان للأمة الإسلامية أعظم مدنية ، ولم تكن ثمة مدنية تضاهيها ، حافظت على موقعها بين الأمم . ولكن لما ظهرت الثورة الصناعية في الغرب ، كان الفكر التشريعي عنـــد

الأمة معطلا ، فقد اقتصرت على اجتهادات الأقدمين ، ووقفت عندها ، وجمدت عليها ، و لم تنظر في ما استجد من وقائع وأشياء لتعطي رأيها التشريعي فيها . بل وصل الحال بها إلى أن نادى البعض بضرورة رفض كل ما عند الغرب جملة وتفصيلا . ومن المضحكات المبكيات في هذا المجال ، أنه لما ظهرت قهوة البن أفتى العلماء بتحريمها ، وعندما ظهرت الهاتف أفتوا كذلك بأنه حرام ، كما ظهر من العلماء من ينادي بتحريم الصناعة ، وتحريم طباعة المصحف . بل وجد كذلك من ينادي بتحريم تعلم العلوم التجريبية ، بل لازال هناك حتى هذه الساعة من ينادي بتحريم كل منتجات الصناعة الغربية كتحريم الساعات ، ومكبرات الصوت ، وتحريم أجهزة التلكس والبرقيات (التلغراف) وما شاكلها . وقد كان القرن التاسع عشر فترة ظهر فيها بون شاسع بين ما وصل إليه الغرب الناهض صناعيا ، وبين ما عند الأمة الإسلامية . وظن كثير من المسلمين أن الإسلام على لسان علمائه ، هو الذي يحول دون النهضة الصناعية . فكان أن حصلت البلبلة في المجتمع الإسلامي ، فظهر من ينادي بأخذ كل ما عند الغرب كردة فعل لتحريم الصناعة . وكان من جراء ذلك أن فقد الناس الثقة بالاسلام وأحكامه ، لأنهم ظنوا ــ كما أوعز إليه الغرب عن طريق عملائه من أبناء المسلمين ــ أن الاسلام لا يماشي العصر .

هذا بالنسبة للتفكير التشريعي ، أما التفكير السياسي فإنه هو الهادف إلى فهم نصوص الأخبار والوقائع ، ولا سيما ما يتعلق بصياغة الأخبار وكيفية فهم هذه الصياغة . وحتى يتأتى وجود هذا التفكير في الأمة فلا بد من دوام اليقظة والتتبع لجميع الحوادث اليومية ، ولا بد أن يمر هذا التفكير بتجربة سياسية حتى لا تقع الامة في حبائل الكفار ، وينطلي عليها دجلهم وخداعهم ، وتصبح رهنا لإرادتهم .

والتفكير بالنصوص السياسية ، وإن كان يشمل التفكير بنصوص العلوم السياسية ونصوص الأبحاث السياسية ، ولكن التفكير السياسي الحق ، هو التفكير بنصوص الأخبار و الوقائع . والتفكير بالعلوم السياسية والأبحاث السياسية ، وإن كان يعطي معلومات ، ولكنه

لا يجعل المفكر سياسيا ، وإنما يجعله عالما بالسياسة ، أي عالما بالأبحاث السياسية والعلوم السياسية ، ومثل هذا يصلح لأن يكون معلما ولا يصلح لأن يكون سياسيا . لأن السياسي هوالذي يفهم الأخبار والوقائع ، ومدلولاتها ، ويصل الى المعرفة التي تمكنه من العمل . سواء أكان له إلمام بالعلوم والأبحاث السياسية ، أو لم يكن له إلمام . إلا أنه يحتاج فقط الى تتبع الوقائع والحوادث التي تقع في العالم ، أي يحتاج الى تتبع جميع الأخبار . ويحتاج الى معلومات ، ولو أولية ولو مقتضبة ، عن ماهية الوقائع والحوادث ، أي عن مدلولات الأخبار ، سواء أكانت معلومات جغرافية ، أو معلومات تاريخية ، أو معلومات فكرية ، أو معلومات سياسية ، أو ما شاكل ذلك . ويحتاج كذلك الى تمييز الواقعة والحادثة ، أي تمييز الخبر من طريق تمحيصه تمحيصا تاما ، ليعرف مدى صدقه من كذبه ، ولابد أن يأخذ الواقعة والحادثة مع ظروفها أخذا واحدا بحيث لا يفصل بين الحادثة وبين ظروفها ولا بحال من الأحوال . وفوق ذلك فإنه يحتاج إلى ربط الخبر بغيره من الأخبار ، فإن هذا الربط هو الذي يؤدي الى الحكم الأقرب للصواب على الخبر .

والتفكير السياسي لا يجوز أن يقتصر على الحكام والسياسيين ، بل لابد أن يصبح تفكير الأفراد والجماعات ، أي تفكير الأمة فإنه بدون وجوده في الأمة لا يوجد الصالح ، ولا يتأتى وجود النهضة ، ولا تصلح الأمة لحمل رسالتها الى العالم . ولذلك فإن التفكير السياسي ضرورى للأمة قبل الحكام ، وضروري لاستقامة الحكم أكثر من ضرورته لايجاد الحكم . ومن هنا كان لابد أن تثقف الامة ثقافة سياسية ، وأن يكون لديها التفكير السياسي . أي لا بد أن تزود الأمة بالمعلومات السياسية والأخبار السياسية ، وأن ينمى لديها سماع الأخبار السياسية ، ولكن بشكل طبيعي لا بشكل مصطنع . ولابد من إعطائها الصحيح من الثقافة السياسية ، والصادق من الأخبار ، حتى لا تقع فريسة للتضليل . ومن هنا كانت السياسة والتفكير السياسي ، هي التي توجد في الأمة الحياة ، أي كانت السياسة هي التي تحيا بها الأمة ، ما دامت تنظر إليها من زاوية العقيدة الإسلامية ، وبدون ذلك تكون الأمة جثة هامدة ، لا حركة فيها ولا نمو .

ولقد عانت الأمة الإسلامية من سوء التفكير السياسي الكثير من المصائب والويلات . فالدولة العثمانية مثلا ، حين كانت أوروبا تحاربها في القرن التاسع عشر ، إنما كانت تحاربها في الأعمال السياسية أكثر منها في الأعمال العسكرية ، وإنه وإن وقعت أعمال عسكرية ولكنها كانت مساعدة للأعمال السياسية . فمثلا ما كانوا يسمونه بمشكلة البلقان ، هي مشكلة خلقتها الدول الغربية بالتصريحات ، فأعلنوا أن دول البلقان يجب أن تتحرر من العثمانيين ، أي من المسلمين . ولكن لم يكونوا يعنون أنهم سيحاربون الدولة العثمانية ، وإنما كانوا يعتمدون على إيجاد القلاقل والإضطرابات في البلقان . فجاؤا بفكرة القومية والتحرر ، فأخذها البلقانيون ، وأخذوا يقومون بالثورات ، فكانت الدولة العثمانية تقوم بعمليات عسكرية ضد هذه الثورات ، مراعية وضع الدول الأخرى ، وتحاول إسترضاء الدول الأخرى (أوروبا) ، مع أن هذه الدول الأخرى هي التي كانت تسند الثورات ، وهي التي كانت تجعلهم يشتغلون ضد الثورات ، من أجل أن يكون عملهم إنهاكا لقواهم ، لا للقضاء على الثورات . وهكذا كان من نتيجة خطأ الدولة العثمانية ، وضلالها في التفكير السياسي أن خسرت البلقان ، ثم لا حقتها فكرة القومية في عقر دارها ، حتى قضت عليها القضاء المبرم .

فسوء التفكير السياسي هو الذي يدمر الشعوب والأمم ، وهو الذي يهدم الدول أو يضعفها ، وهو الذي يحول بين الشعوب المستضعفة وبين الانعتاق من ربقة الإستعمار ، وهو الذي يحول بين الأمم المنحطة وبين النهوض . فقد أنطلى على المسلمين خداع مصطفى كمال لهم في ثورته التي أعلنها ضد الحلفاء ، ولم يدركوا أن ثورته هي الحقيقة ضد السلطان العثماني ، وأن الغاية منها هي فصل تركيا عن باقي أجزاء الدولة ، وهدم الخلافة ، وإقامة جمهورية تركية على أنقاض دولة الخلافة . وانطلى على كافة الشعوب الإسلامية حقيقة الدعوة الى الاستقلال على أساس قومي وطني ، والتي عصفت بالعالم الاسلامي بعد هدم الخلافة في أوائل القرن العشرين الميلادي . فلم يدركوا أن الغاية منها هي تجزئة البلاد الإسلامية لتحطيم الأمة الإسلامية كي تبقى هكذا مجزأة الى دول وشعوب وقوميات الى الأبد

، وكي يحولوا بينها وبين عودتها أمة واحدة ، يكون لها كيان واحد ودولة واحدة . وانطلى عليهم خداع جمال عبد الناصر لهم في الخمسينات والستينات من هذا القرن ، وبالذات بعد مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥م ، والذي رفع شعارات الإستقلال والتحرر من الإستعمار ، ودعم ثورات الجزائر و المغرب العربي ، وثورة المسلمين في لبنان وسورية ، وغيرها من الدول العربية الافريقية . ولم يدركوا أن أعمال عبد الناصر هذه كانت من أجل تركيز النفوذ الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ، وفي الحيلولة دون تحرر العرب ، وقد كانوا عقب الحرب العالمية الثانية متحفزين للتحرير .

لذلك فإن سوء التفكير السياسي يشكل خطرا على الشعوب والأمم ، وأخطار الخطأ أو الضلال فيه ، أخطار مدمرة . ومن هنا كان لابد من العناية الفائقة بالتفكير السياسي ، وكان لابد من تثقيف الأمة التثقيف السياسي ، وتمرينها وتعليمها على التفكير السياسي ، حتى يصبح قادرا على الوقوف في وجه الأعداء والخونة من الحكام ، وحتى يجعل الأمة قادرة على الانعتاق من نفوذ الدول الكبرى ، وعلى تحرير كافة بلادها الاسلامية كي تشكل منها قوة دولية مرهوبة تستطيع أن تقلب الموازين السياسية في العالم .

(النهضة الفكرية)
عملية إيجاد الإحساس الفكري في الأمة الاسلامية

تعتبر الأمة الإسلامية اليوم فاقدة للأفكار ، فهي طبيعيا فاقدة لطريقة التفكير المنتجـــة . فالجيل الحاضر لم يتسلم عن سلفه أية أفكار إسلامية ، ولا أفكار غير إسلامية . وبـــالطبع لم يتسلم طريقة تفكير منتجة . ولم يكسب هو أفكارا ، ولا طريقة تفكير منتجة . ولذلك كان طبيعيا أن يرى في حالة تلبد في الإحساس تجاه ما ينزل به من أحداث ، وفي حالة لا مبالاة لا يلوي على شيء ، حتى صارت لا تؤثر فيه الأفكار ، ولا تثيره المصائب ولا النكبـــات ، ولا تؤرقه الخيانات . لأن موطن الإحساس فيه قد تجمد ، ولأن الفكر فيه لا يتحرك ، بإعتبـــاره فاقدا للأفكار ولطريقة التفكير المنتجة في الحياة .

ولهذا كان لا بد من إثارة الاحساس الفكري في الامة من جديد . فالاحساس بفظاعة المعصية يؤدي الى تركها ، والاحساس بمرارة الظلم يدفع إلى تغييره ، والاحساس بالانحطـــاط والتخلف يتحول الى فكر دافع في الأمة لإحداث النهضة الإسلامية المبتغاة . ولكـــن هـــذا الإحساس إذا بقي مجرد إحساس ، فإنه لا أمل باحداث أي تغيير . أما إذا قاد هذا الإحساس الأمة إلى التفكير بواقعها السيء ، ومن ثم إلى العمل لتغييره ، فإن هذا الإحساس ـــ ولا شك ـــ سيقوي عند الامة ويصبح أكثر حيوية ، كلما زاد إلتفافها حـــول الأفكـــار الإســـلامية وتكتلت على أساسها ، وكلما ازداد وعيها وتشبعت عقليتها بأفكار الإسلام وأحكامه .

وفي هذا العصر : عصر النهضة للأمة الإسلامية ، توجد بارقة أمل مشرق بأن يتحـــول الإحساس عند الامة إلى إحساس فكري ، لا سيما بعد هذه الأحداث الموجعة التي عصـــفت بالعالم الإسلامي منذ بدء الغزو العسكري والسياسي لبلاد الإسلام وحتى هذه الساعة ، فهي قد سحقت الأمة سحقا وصارت تهددها بالفناء والزوال . فهذه الأحداث الموجعة قد أثـــرت في الأمة تأثيرا كبيرا ، واثخنتها بالجراح والآلام الفظيعة ، فصارت بعد هذه السنين الطويلـــة تشعر بقيمة أفكار الإسلام في حياتها ، وبالتالي بقيمة الأفكار الإسلامية في إحداث النهضـــة التي أخذت تتطلع إليها منذ منتصف القرن الماضي ، وقد فشلت جميع جهودها لأنها ظنت أنها تستطيع أن تنهض بما نهضت به دول أوروبا وروسيا وأمريكا من أفكار المادية التي تـــرى أن

الدين أفيون الشعوب ، الذي يخدرها ويمنعها من العمل ، ومن أفكار الرأسمالية الـــتي تـــرى وجوب فصل الدين عن الحياة ، وبالتالي عن الدولة .

فلما لم تتحقق لها هذه النهضة ، وإنما زادت هذه الأفكار الغربية من تخلف المســـلمين وتأخرهم ، ولما كان الإسلام يجري في مجرى الدم عند المسلمين أخذت الأمة تتلمس طريـــق عزتها ونهضتها في الإسلام ، فلاحت لها تباشير النهضة من جديد ، لأن الإحساس الفكري قد بدأ ينبض فيها بالحيوية . وهو وإن كان لايزال إحساس الأفراد وتفكير الأفراد ـــ وأعني بهم حملة الدعوة الإسلامية الذين يعملون لإعادة مجد الإســـلام ـــ إلا أن ضـــخامة الأحـــداث وفظاعتها ، وكون التفكير والإحساس تجسد في أشخاص حتى غَدَا تفكيرا يمشي في الاسواق بين الناس ، فإن هذين الأمرين : يوجدان أملا مشرقا ، في أن ينتقل التفكير والاحساس مـــن الأفراد إلى الجماعات ، وأن يصبح تفكيرا جماعيا لا تفكيرا فرديا ، وأن يكون تفكير الأمة لا تفكير الأفراد ، فتصبح الأمة الاسلامية أمة فكرة ، وتعود كما كانت خير أمة أخرجت للناس .

معنى الإحساس الفكري

الإحساس الفكري هوالإحساس الذي يقويه عند الإنسان الفكر . أي هو الإحســـاس الذي يكون الفكر مصدرا له وليس هو مجرد الاحساس بالشيء الذي يأتي طبيعيا لمجرد الشعور بالواقع فيتجاوب معه الإنسان من غير نظر أو تفكير . وبعبارة أخرى هوالعملية الفكرية التي يقوم بها الإنسان في وقائع الحياة حين يستعمل ما لديه من معلومات عند الإحساس بالوقـــائع للحكم على هذه الوقائع ، وحينئذ ينتج عن فكره إحساسا ، ويقوى ويضعف بقوة الفكـــر ووضوح الرؤية لديه أو بضعف الفكر وقصر النظر فيه .

إلا أن الإحساس الذي نعنيه هو الإحساس الذي يكون الفكر أساسا له ، أي الاحساس الذي يقويه عند الإنسان الفكر ، ولهذا لا بد أن يكون الفكر قويا مشرقا عند صاحبه حتى يمكن أن يصدر عنه الإحساس القوي الذي يتولد منه التفكير الجاد والمنتج في الحياة . فهذا الاحساس الذي يوجده الفكر هو ما نعنيه بالاحساس الفكري وهو الذي يتوجب إيجاده في الأمة حتى تحصل لها النهضة الفكرية قطعا .

اختلاف الاحساس الفكري بين الناس

من البديهي أن الفكر حين يكون ضعيفا يوجد احساسا فكريا ضعيفا عند صاحبه ، فيقف عند حدود معينة لا يتعداها ، ويؤثر على القوى الذاتية لديه وهي القوى الروحية والمادية الاخلاقية والانسانية فيضعفها ويقلل من قوة تأثيرها عليه . وهذا بخلاف الحالة التي يكون الفكر فيها قويا ، فإنه يوجد عند الإنسان احساسا فكريا قويا ، لأن الفكر القوي هو الذي يوجد في الإنسان هذه الهزة الشعورية القوية والتلهب في الاحساس ، أي هو الذي يجعل الاحساس قويا ، وحينئذ يندفع الانسان في الحياة بحسب هذا الاحساس الفكري الموجود لديه . وقياس المجتمعات الانسانية من حيث الارتفاع الفكري في الشعب أو الأمة ، إنما يرجع لقوة هذا الاحساس الفكري أو ضعفه في الافراد والجماعات . فتوجد النهضة حين يكون الفكر قويا ، وبالتالي حين يكون الاحساس الفكري قويا ، وتنعدم حين يضعف الفكر ويصبح غير مؤثر حتى على صاحبه .

والاحساس الفكري كما يختلف باختلاف قوة الفكر أو ضعفه ، يختلف أيضا باختلاف درجة البلدان في الظلم السياسي والاقتصادي ، وباختلاف درجة البلدان في الانحطاط الفكري أو الاخلاقي . فالبلدان التي يكثر فيها الظلم ويستشري فيها الفساد والانحلال يكون الاحساس الفكري فيها أقوى فيدفع الشعب أو الأمة من أجل التغيير وقلب جميع الأوضاع ،

بينما يضعف وقد لا يتحرك الا ببطء فيحتاج الى زمن حتى يقوى في البلدان التي لا تشكو من الظلم أو لا تعاني من الفساد والتدهور في الأخلاق .

ولا يمكن أن يكون الاحساس الفكري قويا عند صاحب الفكر الا اذا كـــان واضـــحا مشرقا لديه ، والا إذا اقترن الفكر بالعمل ، والا اذا كان تلقي الفكر تلقيا فكريا مؤثرا يؤثر ، وحينئذ يصبح التطبيق نتيجة طبيعية . وقد تجلّى في الصحابة قمة الاحساس الفكري ، فكان الدين عندهم إيمانا يتلوه العمل وهكذا فهموه ، وهكذا تعلّموه من رسولهم الكريم صـــلى الله عليه وآله وسلم . يقول أبو عبد الرحمن السلمي وهو أحد كبار التابعين : "حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن ((كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما)) أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمـــل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعمل جميعا " مقدمة في أصول التفسير ـــ ابن تيمية ص ٦ . ولهـــذا كانوا يأخذون الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذا مؤثرا يـــدفعهم نحـــو العمل . فبمجرد أن تنزل الآية ، وبمجرد أن يصدر الحديث عن الرسول الأكرم ، يبادرون إلى أن يضعوا ذلك موضع التطبيق والتنفيذ ، حتى تنطبق جميع أعمالهم به لأنهم أخذوه أخذا مؤثرا ، أي للعمل والتطبيق بعد أن آمنوا به حقا وأخذوه صدقا . فكان الاسلام يتحول في نفوسهم الى مفاهيم دافعة للعمل وليس مجرد معلومات في الذهن . أي أفكارا لها وقائع خارجية فتزيد من احساسهم بتبعات الإسلام وبمسؤوليتهم عن باقي الناس لهدايتهم . ولعل أروع مثال يؤتى به ، ما كان من أمر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه فإنه بعد أن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليه القرآن ويدعوه الى الاسلام ، أسلم على الفور وقال : " والذي نفسي بيـــده لأصرخن بها بين ظهرانيهم " يعني يعلن خبر اسلامه على الملأ دون أن يحسب لزعماء قـــريش أي حساب . " فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ". فثار عليه الناس يضربونه حتى أوقعوه على الأرض . " فأتى العباس فأكب عليه فقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم الى الشام عليهم . فأنقذه منهم

. ثم عاد من الغد بمثلها ، وثاروا إليه فضربوه . فأكب عليه العباس فأنقذه " صحيح مسلم / كتاب فضائل الصحابة ١٣٢ / ٢٤٧٤ . فكان الاحساس الفكري لديه في القمة .

وأما متى يكون الاحساس الفكري عند الإنسان ضعيفا ، فإنه اذا لم يكن الفكر واضحا عند صاحبه ، واذا كان عليه غشاوة أو غشاوات ، أو كأن لم يصل الى درجة القناعة والتصديق الجازم ، أي لم يكن إيمانا ، وإذا لم يقترن الفكر لديه بالعمل ، فإن الاحساس الفكري يكون ضعيفا ، أو أنه يضعف مع الزمن اذا كان من حيث أصله قويا عند الشخص الذي وجد لديه هذا النوع من الاحساس ، وذلك يعود الى أن تلقي الفكر لم يكن تلقيا فكريا مؤثرا ، بل كان من أجل العلم فقط ومن أجل تزيد الذهن بالمعلومات ليس غير . وذلك كالامة الاسلامية اليوم ، فإن الإحساس الفكري عندها يعتبر ضحلا أو غير موجود أصلا ، الا لدى الأفراد ، الذي يحملون لها الدعوة على الأساس الفكري . لأنها فاقدة للأفكار . ولأن العقيدة الاسلامية لديها قد طرأت عليها غشاوات كثيرة أيام الإنحطاط ففقدت حيويتها . ولأن الأمة في العصور الأخيرة قد ورثت الإسلام باعتباره طقوسا وشعائر للتدين ، كما يرث النصارى دين النصرانية ، وفي نفس الوقت اعتنقت الأفكار الرأسمالية من مجرد مشاهدتها نجاحها في بلاد الغرب ، لا من ادراكها لواقع هذه الأفكار ، ومن خضوعها لتطبيق أحكامها عليها بالقوة ، لا من انبثاق هذه الأحكام عن وجهة النظر الرأسمالية للحياة ، التي هي في نظر الإسلام كفرا لا يحل أخذه بحال من الأحوال . ولذلك أهمل الكثيرون أمر تطبيق الإسلام في حياتهم . وظنوا أنهم بذلك يتمكنون من السير قدما في معترك الحياة مع العالم المتمدن ، ويلحقوا بقافلة الأمم الرأسمالية أو الشعوب التي تطبق الأشتراكية وتسير نحو الشيوعية باعتبارها في نظرها الشعوب الراقية . بهذا كان الاحساس الفكري في الأمة الاسلامية اليوم في الحضيض .

منطق الاحساس وكيفية نشوء الأفكار وكيفية نقلها للناس

إن إعادة تكوين الأمة الإسلامية يقتضي دوام الحرص على أن يكون الفكر الذي نريد تكوين الأمة به ناجما عن إحساس حتى يتأتى إيجاد الإحساس الفكري في الأمة للنهوض بها . وبقدر صدق الإحساس وصدق المعلومات عن الواقع بقدر ما يكون التفكير عند الإنسان قويا منتجا ، فيبدع الإنسان باستعمال الأفكار لديه بنجاح تام . وهذا ما يسمى بمنطق الإحساس ، وهو يعني أن يكون الفهم والتفكير ناجمين عن إحساس لا عن مجرد فروض لقضايا خيالية . لأن هذا هو الاساس في عملية التفكير . فإن طريقة التفكير من حيث هي تحتم إقتران الإحساس بالواقع مع وجود المعلومات السابقة عنه او اقتران المعلومات السابقة مع الإحساس بالواقع ، فحينئذ يحصل الفكر ، وفي غير ذلك لا يمكن أن يحصل فكرا مطلقا .

وعليه فإنه لا بد من إعطاء المعلومات مع الإحساس بالواقع حين نريد أن ننشيء فكرا . ولا بد من إيجاد الإحساس بالواقع مع المعلومات حين إعطائها ، إذا أردنا أن يدرك الفكر الذي نعطيه . فمثلا من جراء اقصاء حكم الاسلام عن كثير من الأقطار الاسلامية وخضوعها لحكم الكفر ولسيطرة الكفار ، ثم من جراء إنهيار الخلافة الاسلامية والقضاء عليها ، حصل في أذهان المسلمين استبعاد وجود الدولة الاسلامية ، واستبعاد وحدة البلاد الإسلامية على أساس الإسلام ، واستبعاد الحكم بالاسلام وحده ، وهذا ما جعل تصور المسلمين للحياة الاسلامية ولإمكانية عودة الخلافة ضعيفا ، والبعض يرونه مستحيلا . فإذا أردنا نقل الأفكار المتعلقة بهذا الواقع للأمة وأردنا إيجاد فكر الإسلام وجعله الطاغي على الإتجاهات العقلية والنفسية عند الأمة ، فلا بد من إيجاد الإحساس عند الأمة بالواقع السيء الذي تعيش فيه ، وبضرورة تغييره ، لأنه واقع منحط أولا ، ولأنه يخالف الإسلام ثانيا . كما لا بد من إيجاد الإحساس عند الأمة بضرورة إيجاد الدولة الإسلامية ، حتى تتكون العملية العقلية بشأنها ويكون الفهم والتفكير ناجمين عن إحساس ، لأن الإحساس شرط أساسي لحصول التفكير .

فالمجتمع المنحط لابد من الإحساس بالإنحطاط حتى يحصل الحكم عليه بأنه منحط ، وما يجرح الكرامة لابد من الإحساس بالجرح الذي حصل أو الحس بأن هذا الشـــيء أو الفعـــل يجرح الكرامة حتى يحصل الحكم بأنه قد حصل جرح ، أو أن الشيء له شفرة تجرح الكرامة . وما يغضب الله لابد من الإحساس بغضب الله الذي حصل أو الحس بأن هذا الفعل أو الشيء يسفز رب العزة ، أي فيه نار الإستفزاز وجمرة الغضب للذات العلية وهكذا ، فإنـــه بـــدون الحس لا يمكن أن تحصل العملية العقلية . ولا شك أن الصحابة الذين أسلموا مع رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أحسوا بواقع مجتمعهم وما هم فيه من إنحطاط في النظر واسفاف في الفكر ، حين عرض عليهم الرسول دعوته أول مرة ، ولا شك أنهم نالوا أعلى قدرا مـــن الإحساس بين بني قومهم . ولذلك لما وقف جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي عبّـــر عـــن استجابتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " أيها الملك ، كنّا قوما أهل جاهليـــة ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكـــل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصـــدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحسنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـــ ثم عدّد عليه أمور الإسلام وقال ـــ فصدّقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء بـــه مـــن الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرّمنا ما حرّم علينا ،وأحللنا ما أحل لنا .. " السيرة النبوية ـــ ابن هشام ٣٣٦/١ . ولما أصيب المسلمون بالهزيمة يوم أحد تملكهم احساس عميق بالجرح الذي أصابهم في المعركة ، وكانت تظهر عليهم آثار الهزيمة ، ومع ذلك فلم يهنوا و لم يضعفوا و لم يحزنوا ، فقد نزل قوله تعالى : " ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلـــون إن كنـــتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا منكم ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الـــذي آمنـــوا ويمحق الكافرين " آل عمران : ١٣٩ـــ ١٤١ .

ولذلك فإنه لما أمرهم الرسول بمطاردة العدو استجابوا له على الفور مع كونهم مثخنين بالجراح ، وفي ذلك يقول أحد رجال بني عبد الأشهل : شهدت أُحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذَّن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو وقلت لأخي ، وقال لي : ((أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحا منه ، فكان إذا غُلب حملته عُقبَة ومَشَى عُقبَة (يريد نتعاقب ركوبة ، أحدنا يركبها برهة والآخر يمشي) حتى إنتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون)) البداية والنهاية في التاريخ — ابن كثير ج ٤ ص ٥٥ . فأنزل الله فيهم : " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم " آل عمران : ١٧٢ .

ولما تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك ، وجاء المخلفون من المنافقين يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجمع كعب على أن يصدق الرسول ، فجاء حتى جلس بين يديه وقال له : " يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أُعطِيتُ جدلا ، ولكنني والله لقد عَلمتُ لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني لَيوشِكَن الله يُسخِطُكَ عَليّ ، وإن حدثتك حديث صدق تجد عَليّ فيه (أي تغضب) إني لأرجو فيه عُقبَى الله عزوجل ، والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قد أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك " البخاري ٨ / ٩٣٠٨٦ ومسلم ٢٧٦٩ . وكان قد تخلف معه رجلان من الصحابة ، وقالا مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهما مُرارة بن الربيع العَمري ، وهلال بن أمية الواقِفيّ . وقد نهى رسول الله الناس أن يكلموهم ، ثم بعد أربعين يوما أمرهم باعتزال نسائهم ، وظلوا على هذه الحال خمسون ليلة وهم صابرون على هذا البلاء لا يكلمهم أحد ولا حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقربن نسائهم . ثم فرج عنهم بتوبة الله عليهم قال تعالى : " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض

بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم " التوبة : ١١٧ ، ١١٨ . فهنا قد حصل الإحساس بغضب الله عند هؤلاء الثلاثة لتخلفهم عن الغزو والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحصل عندهم الاحساس بأن الكذب يغضب الله ويستفزه تعالى ، فتركوا الكذب وآثروا الصبر على المحنة التي نزلت بهم جزاء تخلفهم خمسون ليلة بتمامها .

وعليه فالحس أمر ضروري حتى تحصل العملية العقلية ، أي حتى يحصل عند الإنسان فكر ، سواء في الأشياء المادية أو غير المادية . إلا أن الأمور المادية يحصل الحس بها طبيعيا وإن كان يقوى ويضعف حسب فهم طبيعتها ، مثل الإنحطاط في الأمة فهو أمر مادي ، إلا أن قوة الحس فيه متعلقة بفهم واقعه أو طبيعته ولذلك قيل أن الإحساس الفكري هو أعلى أنواع الإحساس . أما الأمور المعنوية من مثل الإحساس بالجرح الذي يصيب الكرامة ، والروحية مثل الإحساس بالفعل أو الشيء الذي يغضب الله ، فإن الحس بها لا يأتي اعتباطيا لأنها أمور غير مادية ، فقد لا يحس المرء بأن ما حصل له من غيره هو مما يجرح الكرامة ، إذ لا يعلم أن هذا الشيء يجرح الكرامة فلا يوجد الإحساس بالجرح الذي حصل . فالمرأة الغربية التي تتعرى على المسرح أمام الرجال ثم تختار رجلا ليضاجعها ، هذه المرأة لا تشعر أن فعلها هذا يجرح الكرامة ، والرجل الغربي الذي يرضى بأن تذهب أخته مع عشيقها إلى بيته أو الى أي مكان يختلي فيه بها أو يغرر بها لينال منها ما ينال الرجل من زوجته ، هذا الرجل لا يعلم أن فعل أخته هو مما يجرح الكرامة . ومثله في الأمور الروحية ، فقد لا يحس المسلم أن اعتناقه لفكرة القومية أو الاشتراكية هو مما يستفز رب العزة أو يغضبه ، وقد لا يحس أن شراؤه لأسهم شركة رأسمالية كشركات التأمين والشركات المساهمة هو فعل حرام يغضب الله ، وأن تركه الإهتمام بأمر المسلمين وسكوته على حكم الكفر هو فعل حرام لا يجوز له القيام به ، فلا يحس بفعله هذا أنه يغضب الله تعالى لكونه يجهل أن هذا الفعل أو الشيء مما يستفز رب العزة . ولذلك فإنه في الأمور المعنوية والروحية لا بد من تعمد الحس عن طريق الفكر ، فإذا لم يوجد الفكر لم يوجد الإحساس . وكذلك في أمور الدعوة يكون إحساس حملة الدعوة بعد

تفهمها أقوى من إحساسهم قبلها ، لأن الدعوة تكون قد غرست في نفوسهم ، وأثـــرت في عقليتهم ونفسيتهم ، فأشبعتها بالثقافة الإسلامية ، وملأتها بالإيمان الكامل وبرضوان الله تعالى ، وتكون قد زادت من خبراتهم ومعارفهم ، ووسعت أفق تفكيرهم حتى اســـتحال تفكـــيرا عميقا مستنيرا ، وبالتالي تفكيرا منتجا .

كيفية إيجاد الإحساس الفكري في الأمة

إن استعراضنا لواقع الأمة ، وموقفها إزاء الأحداث والوقائع ، وموقفها من حكامها ، وكيفية تحرك الإحساس فيها ونوعيته تجاه النكبات التي تصيـــبها أو تنزل فيها وتلحـــق بهـــا الهزيمة تلو الهزيمة ، والمؤامرة تلو المؤامرة ، وموقفها من الإسلام وضرورة إيجـــاده في معتـــرك الحياة ، كل ذلك وأمثاله يدل على أن الإحساس الموجود في الأمة إحساس ضعيف ، ومـــردّ ذلك إلى الإنحطاط الفكري الموجود في الأمة ، ولعدم وجود أفكار لديها تبدع في اســـتعمالها في الحياة . ففقدان الأمة للأفكار الإسلامية ولطريقة التفكير المنتجة في الحياة ، قـــد أضـــعف الإحساس الفكري عندها مما جعلها ترضى بالإنحطاط ولا تعمل على تغـــييره ، وترضـــى أن تحكم بالكفر عن طريق حكام من أبنائها هم أشد عداء للإسلام من دول الكفر قاطبة ، فهم قد قهروها وظلموها ووضعوها في سجن كبير وحالوا بينها وبـــين العـــودة إلى الإســـلام ، فسكتت عنهم كما سكتت على سيطرة الكفار على بلادها و لم تعمل على رفع هذه السيطرة إلا بانتفاضات إرتجالية قد رسّخت أقدام المستعمرين بدل أن تنقذ البلاد منهم ومن شرورهم .

لذلك كان لا بد من إيجاد الإحساس الفكري في الأمة ، فإنه بدونه تنعـــدم النهضـــة وينعدم الرقي المادي في الحياة . أما كيف نوجد الإحساس الفكري في الأمة إزاء الحـــوادث والوقائع والمصائب والنكبات ، وكيف نوجد الإحساس الفكري عندها بضرورة وجود الدولة الإسلامية ، وضرورة وحدة البلاد الإسلامية وإعادة الحكم الإسلامي إليها وتحريرهـــا مـــن سلطان الكفار المستعمرين ومن أذنابهم من حكام المسلمين وأعوانهم من الظلمـــة والمنـــافقين

والمنـــتفعين . فذلك يكون عن طريق بيان الواقع السيء في المجتمع في كافة البلدان الإسلامية ، وتنبيه الأمة إلى الأخطار الدولية التي تحدق بها من جراء خيانة حكامها وتسليمهم البلاد وما فيها للكفار المستعمرين ليعيثوا فيها فسادا ونهبا وإرهابا وتشريدا . وإلى الأخطار الفظيعة التي تهددها في حال بقاء بلادها مجزئة وثرواتها منهوبة وخلافتها غير قائمة ، وبالتالي في حال بقاء سيطرة الكفار عليها إما مباشرة أو عن طريق الخونة والعملاء من أبناء المسلمين . فهذا مـــن شأنه أن يوجد الوعي العام عند الأمة على الإسلام وعلى الوقائع والحوادث السياســـية ، وإذا ما وجد الوعي العام عند الأمة على قضاياها وعلى واقعها ، فإن إحساساتها تقوى وتـــزداد كلما زاد الوعي لديها على دينها وعلى الواقع السيء الذي تعيش فيه . فهذه الإحساســـات هي ما نعنيه بمنطق الإحساس أو الإحساس الفكري .

ومتى مرّ الفكر بدور تحويله من إحساس إلى فكر إلى قوة دافعة متحركة ، فإنـــه إنمـــا يتحرّك في الأمة ويحركها عن طريق الإحساس الفكري الذي وجد فيها وحينئذ توجد تباشير النهضة ، ويبدأ الأمل مشرقا في تحقيق الإنقلاب العام في الأمة وتحويل البلاد الإسلامية مـــن بلاد تعيش في ظل أنظمة الكفر إلى بلاد تعيش في ظل أحكام الإسلام وأنظمـــة الإســـلام . وكلما كان الإحساس الفكري في الأمة قويا ، كلما كانت عملية التغيير سريعة ومنتجـــة ، مهما اعترض ذلك من صعوبات تحول دون الوصول . أما فيمن يتحرك الإحساس الفكـــري أولا . فلا شك أن الذين نالوا أعلى قدرا من الإحساس هم الذين يتركز فـــيهم الفكـــر أولا وقبل غيرهم ، فيوقظهم ويلهمهم ويبعث فيهم الحركة فتظهر أعراض الحياة فيهم أولا ، ومن ثم يتحركون حركة وعي وإدراك لنقل الأفكار إلى غيرهم من أفراد الأمة وإلى المجتمع برمته .

متى تدبّ الحيوية في الأمة

يظهر لنا من تتبع حركات الشعوب خلال مختلف مراحل التاريخ أن الحيوية تـــدب في الأمم والشعوب عادة حين تحصل هزات عنيفة في المجتمع ينتج عنها إحساس مشترك . وهذا الإحساس الجماعي يؤدي إلى عملية فكرية في الأمة . إلا أن الإحساس وإن كـــان واحـــدا مشتركا في الجماعة بين أفرادها فإنه يكون بنسب مختلفة بين الناس على قدر ما هيأهم الله له بما ساهم من إستعدادات ممتازة ، فيتركز فيمن نالوا أعلى قدرا من الإحساس وهـــؤلاء هـــم عيون الأمة وهم الثلة الواعية فيها . وهم الذين يحملون الدعوة إلى المجتمع . لأن الفكر عندهم هو نتيجة منطق الإحساس أي فهما ناتجا عن الإدراك الحسي . وهذا الفهم يوجـــد لـــديهم الإحساس الفكري ، فلا يطيق أن يبقى حبيسا في نفوسهم ، بل يسوقهم إلى الدعوة ســـوقا فتصبح أعمالهم متكيفة به ، سائرة حسب فهمه ، مقيدة بحدوده ، ويصبح وجودهم من أجل الفكر الذي أخلصوا له ومن أجل الدعوة له والقيام بتكاليفه والتزاماته .

تماما كما حصل مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ، فقـــد غرســـت الدعوة في نفوسهم ، وسرى الإسلام فيهم سريان الدم في أجسامهم فأصبحوا إسلاما يمشـــي في الطريق . وقد تجسد فيهم الإحساس إلى أعلى درجة ، وبذلك لم تستطع الدعوة أن تبقـــى حبيسة في نفوسهم رغم استخفائهم ورغم سرية تكتلهم والحرص على إخفـــاء تجمعهـــم . فأخذوا يتحدثون إلى من يثقون به ، وإلى من يأنسون منهم إستعدادا لقبول الدعوة وظل ذلك مدة ثلاث سنين . ثم لما أمر الله رسوله بأن يجهر بالدعوة ويظهر كتلته علانية ، إنتقل الرسول في أصحابه من دور الإستخفاء الى دور الإعلان ، ومن دور الإتصـــال بمـــن يـــأنس فـــيهم الإستعداد الى دور مخاطبة الناس جميعا ، وإن كان قد بقي بعض المسلمين مستخفين وبعضهم ظل مستخفيا حتى فتح مكة لأن الدعوة لم تكن فرضا عليهم وإنما كانت فرض على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكونهم كانوا مستضعفين في قومهم .

عقبات إيجاد الإحساس الفكري في الأمة

مشكلة الأمة الإسلامية اليوم أن إحساساتها جميعا لا تنتج عن فكر مؤثر يدفعها للتحرك بشكل جدي على أساس الفكر . والفكر الذي نريد إنهاض الأمة الإسلامية به هو الفكر الإسلامي المستمدة أصوله من الوحي ، أي من الكتاب والسنة ، ومما دل عليه الكتاب والسنة من قياس وإجماع صحابة . لكن هناك عقبات تحول دون تحقيق إيجاد الإحساس الفكري في الأمة ، وهذه العقبات هي ما يلي :

أولا : إن الإحساس في الأمة ينتقل إلى العمل رأسا لا إلى الفكر . وما التظاهرات والاحتجاجات وغيرها من أنواع الكفاح الرخيص إلا دليلا حيا على أن الإحساس الغريزي هو الذي يتحرك في الأمة ، فتقوم بالعمل رأسا من مجرد الإحساس بالظلم من الحاكم ، ومن مجرد الإحساس بالغبن أو الحرمان من بعض الحقوق ، أو الخيانة من قبل رئيس الدولة ، دون الرجوع إلى الفكر وبالتالي دون أن تعطي نفسها برهة للتفكير العميق فيما نزل بها من ظلم أو مصاب . حتى تحدد الموقف وتحدد الإجراء . وهذا لا يغير الواقع ، لا بل الخطر الإنتقال من الإحساس إلى العمل رأسا لا إلى الفكر ، لأن هذا يجعل الإنسان واقعيا رجعيا ، يسير في عقلية منخفضة ويجعل الواقع مصدر التفكير لا موضع التفكير . والفرق بين جعل الواقع مصدرا للتفكير وبين جعله موضع التفكير : هو أن جعله موضعا يعني أن التفكير لا ينتج إلا عن واقع ، وهذا بديهي لأن التفكير يتطلب الإحساس بالواقع أولا ، ثم وجود معلومات عنه تكون بمستواه . أما كونه مصدرا فهذا يعني عدم أخذ الفكر إلا من الواقع أو البيئة ، التي يعيش فيها الإنسان . لأن جعل الواقع مصدرا للتفكير لا يكون آتيا من الواقع ذاته ، وإنما يكون من غيره ، إما من الوحي أو من الإنسان بفكرة تشرق في ذهنه بعبقرية منه . فالتغيير لا يكون فيما عليه المجتمعات بل فيما يجب أن تكون عليه المجتمعات . وهذا يقتضي أن يخرج الإنسان عن واقعه ويتصور طريقة واضحة لتغييره ، وأن يؤدي به الإحساس الى الفكر أولا ، ثم يؤدي به هذا الفكر إلى العمل ، وهذا الذي يمكن من الارتفاع عن الواقع . فالذي يحس بالواقع ثم

يعمل ، لا يعمل لتغيير الواقع بل يعمل لتكييف نفسه حسب الواقع فيبقى متأخرا منحطـــا . والذي يحس بالواقع ثم يفكر في تغييره ، ثم يعمل بناء على هذا التفكير ، هذا هو الذي يكيف الواقع حسب مبدئه (أي حسب الفكرة السياسية التي يؤمن بها وهي بالنسبة لنا نحن المسلمين الفكرة الإسلامية) فهذا هو الذي يخضع الواقع لما يؤمن به ويغيره تغييرا كليا . وهـــذا هـــو الذي يتفق مع الطريقة الإنقلابية التي هي الطريقة الوحيدة لاستئناف الحياة الإســـلامية ، لأن هذه الطريقة تفرض أن يكون الفكر ناتجا عن إحساس مثل ما حصل مع عمر بن الخطـــاب ، فإنه لما هاجر المسلمون الى الحبشة فرارا بدينهم وقف عمر يتأمل خروجهم وقد أثّر في نفسه فقال لإبنة أبي حثمة : إنه للإنطلاق يا أم عبد الله ؟ قالت : نعم والله ، لنخرجَنّ في أرض الله : آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجا . فقال : ((صحبكم الله)) . قالت أم عبد الله : ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه ـــ فيما أرى ـــ خروجنا)) . الســـيرة النبوية ـــ ابن هشام ٣٤٣/١ . ثم لم يلبث عمر يسيرا الا وقد أسلم ، وفي ذلك يقول عمر : خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقدمت خلفه ، فاستفتح ((سورة الحاقة)) فجعلت اتعجب من تأليف القرآن . قال : قلت والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ : ((إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون)) الحاقة : ٤٠ ، ٤١ . قال : قلت كاهن علم ما في نفسي ، فقـــال ((ولا بقـــول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخـــذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين . وإنه لتذكرة للمـــتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين . فسبح باسم ربـــك العظيم)) الحاقة : ٤٢ـــ ٥٢ . قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع)) وفي رواية : فلمـــا سمعت القرآن رق له قلبي ، فبكيت ودخلني الإسلام ..)) الروض الأنف نقلا عن سيرة ابن هشام ٣٤٨/١ . . فهنا الفكر عند عمر كان ناتجا عن إحساس . ثم تبلـــور الفكـــر لديـــه وأحدث فيه الإنقلاب الكامل ، حتى أخذ يسير في تهيئة الأشخاص والمجتمع بهذا الفكر ، وأتى بعدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : ما عليك . بأبي وأمي ، والله مـــا بقـــي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف ((وفي رواية قال

له : يا رسول الله ، على ما نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ فقال ((يا عمر ، إنّا قليل وقد رأيت ما لقينا)) فقال عمر : فو الذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان)) البداية والنهاية في التاريخ ـــ ابن كثير ٣/٣٤، ٣٥ . وهكذا فالطريقة الإنقلابية تفرض أن يكون الفكر ناتجا عن إحساس ، وأن يتبلور هذا الفكر بحيث يرسم المخطوط الهندسي للفكرة والطريقة في الذهن (من مراجعة السيرة النبوية وتتبع نصوص الكتاب والسنة) فيدرك الإنسان المبدأ إدراكا صحيحا يؤدي إلى العمل ، حتى يكون الفكر قد حدث فيه إنقلاب كامل فيسير حينئذ في تهيئة الأشخاص والمجتمعات والأجواء بهذا الفكر ، ليحدث انقلابا في الرأي العام بعد أن يوجد الوعي العام على المبدأ فكرة وطريقة ، وهذا ما نجح مصعب بن عمير بتحقيقه في مجتمع المدينة خلال سنة واحدة من الدعوة فيها ، فقد نقل الناس من الإيمان الوجداني إلى الإيمان العقلي ، أي من الإيمان الذي ينبع من مشاعر التدين البحتة إلى الإيمان الذي هو نتيجة بحث عقلي قد تجاوبت فيه المشاعر مع الفكر ، ونقلهم من عبادة الأصنام الى عبادة الله ، وجعلهم يصدقون بالحياة الأخرى ، ويتصورونها بالصورة التي أوضحها لهم في الكتاب والسنة وأوضح ما فيها من عذاب ونعيم ، فصاروا يتصورونها ويرون أنها هي الحياة الحقيقية ، وبذلك صار للحياة عندهم معنى وقيمة لأنها طريق لحياة أخرى أسعد وأخلد ، وجعل مقياسهم في الحياة هو الحلال والحرام ، حتى صار المسير للأعمال والموجه لها هو أوامر الله ونواهيه ، وصارت الغاية من تسيير الأعمال بأوامر الله ونواهيه هي رضوان الله ، وصارت السعادة عندهم لا تأتي بالملذات ولا بالشهوات وإنما بنوال رضوان رب العالمين . وقد بلغ من تأثير الإسلام في نفوسهم كانوا مستعدون للتضحية بأنفسهم وأموالهم في سبيل الإسلام ، واستعدوا لنصرة رسول الله وحمايته وحماية دعوته ، ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه بيعة حربية وبيعة نصرة وحماية ، وكانت في واقعها بيعة على تسليمه الحكم في المدينة . ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام بتطبيق أحكام الإسلام تطبيقا انقلابيا ، وكان كل حكم يترل عليه خلال العشر سنوات التي قضاها في الحكم ، يطبقه على الفور دون قبول تدرج أو ترقيع ، فقد حذره الله من أن يترك أي حكم فلا يطبقه استجابة لرغبات الناس ، يقول تعالى : ((وأن احكم بينهم

بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون)) المائدة : ٤٩ . ولذا فإن الطريقة الانقلابية تفرض أن يطبق المبدأ عن طريق الحكم تطبيقا انقلابيا دون قبول تدرج أو ترقيع .

وعليه فإن الطريقة الوحيدة لاستئناف الحياة الإسلامية هي الطريقة الإنقلابية ، وهي توجب أن يكون الفكر ناتجا عن احساس ، وان يقترن بالعمل من أجل غاية معينة هي اقامة الخلافة لتنفيذ احكام الشرع الاسلامي وحمل الدعوة الإسلامية الى العالم . ولا يؤدي الى هذا الا الفكر العميق . وهذا الفكر يحتاج الى ما يوجده ، أو ينمّيه أو يخصبه . وتحتاج الطريقة الانقلابية الى إعداد الأشخاص بالمبدأ الاسلامي وإلى اعداد المجتمع به . وإعداد الاشخاص بالمبدأ يقتضي درس الإسلام من قبل أولئك الذين يريدون العمل ، ويقتضي كذلك درس المجتمع . ولا يتأتى ذلك الا عن طريق تزويد الذهن بالمعلومات . والدراسة اسهل الطرق لايصال هذه المعلومات للذهن لتساعد على إيجاد الفكر . وحينئذ يتكون الإحساس الفكري في الأمة ، أي أن الفكر هو الذي يقوى احساس حملة الدعوة فيصير احساسا فكريا يتجسد عقيدة وثقافة في نفوس المخلصين فيحدث في نفوسهم ثورة جامحة . وليست هذه الثورة سوى انفجار في الشعور والفكر . وهذه الثورة يكون لها ما بعدها ، وهو تغيير المجتمعات في البلاد الإسلامية من دار كفر الى دار اسلام ، وتحرير البلاد الاسلامية من نفوذ الكفار وسلطانهم وجعلها بلادا واحدة محررة ، تخضع لنفوذ المسلمين وسلطانهم .

أما انشغال الأمة بالكفاح الرخيص فإنه على العكس من ذلك يثبّت اقدام الكفار في بلاد الاسلام ، ويبقي حكم الكفر قائما . ومن هنا يتجلى خطر الإنتقال من الإحساس الى العمل رأسا لا إلى الفكر . فالانتفاضات الشعبية التي تقوم بها الشعوب الإسلامية عن طريق التظاهرات والاحتجاجات ، أو عن طريق الاعمال المادية كإلقاء المتفجرات على المنشآت الحكومية ، وحمل السلاح كرد فعل على الواقع مثلما حصل في لبنان ، فإن المسلمين قد حملوا

السلاح بعد أن لم ينفع معهم الاحتجاج والكلام ــ نظرا للظلم الواقع عليهم من قبل الموارنة في لبنان ــ فقاموا بالعمل لرفع هذا الظلم ، فحملوا السلاح ، فلم يغيروا الواقع بل كانوا واقعيين رجعيين في احساسهم وتفكيرهم. لأنهم قاموا بالثورة من مجرد الاحساس بالظلم ، فلم يكن لديهم فكرة واضحة وطريقة محددة للتغيير ، وأشغلوا بقضيتهم عن قضية المسلمين ، وجعلوا لبنان همّهم الأول والأخير ، وبالتالي جعلوه بلدهم الوحيد فطالبوا بانصافهم ورفع الغبن عنهم في الحكم ، واستعانوا بالسياسيين ورؤساء الأحزاب لتحقيق مطالبهم ــ ولم يدر المسلمون في لبنان أن بلاءهم من السياسيين المسلمين ومن الأحزاب القومية والشيوعية وامثالها ــ فانجرفوا وراء الوفاق السياسي والمشاركة والاصلاح الذي كان يطرحه هؤلاء السياسيون من زعماء المسلمين والاحزاب التي تقوم على غير أساس الاسلام . مع أن الوفاق السياسي يعني رضى المسلمين المحكومين وزعمائهم بلبنان بلدا نهائيا يحكمه الموارنة ، وبأن يظل الحكم للموارنة على الرغم من أنهم اقلية . والمشاركة تعني اطلاع المسلمين ومشورتهم عند اتخاذ القرارات ، واعطاؤهم بعض المناصب التنفيذية والادارية التي هي حتى الآن حكر للنصارى ، وأما الاصلاح الدستوري فالمقصود به تعديل الدستور وبعض القوانين بحيث يدون ما يتم الرضى به من اقرار المسلمين للموارنة بالحكم وفاقا ومن التنازلات التي يتنازل عنها الموارنة للمسلمين مقابل ذلك الاقرار ، كزيادة في المقاعد النيابية وفي بعض المناصب . مع ان فكرة الوفاق والمشاركة والاصلاح هي افكار سياسية قد طرحها الحكام الموارنة كبدائل لفكرة انتقال الحكم الى المسلمين ، فهي فكرة خبيثة وجدت لتركيز حكم النصارى للبنان وسيطرة الموارنة عليه وتحكّمهم به وبالمسلمين باقرار المسلمين ورضاهم ، وهذا لا يجوز شرعا ، لأن الكافر لا يجوز له أن يحكم المسلم مطلقا ، وهي تجعل المسلم يقبل ويرضى بحكم الكافر للمسلمين وبلادهم . وكان يجب عليهم العمل لجعل لبنان يحكم بالاسلام ومن المسلمين ، ولابعاد الموارنة والنصارى عن حكمه ، والمسلمون قادرون على ذلك ، لو أنهم فكروا قليلا ، وخرجوا من نفقهم الضيق الذي وضعهم فيه الموارنة . لذلك كان لابد من تعويد المسلمين على الاحساس الفكري فإنه وحده هو الذي يخلصهم مما هم فيه من أوضاع .

ثانيا : ومن العقبات التي تحول دون إيجاد الإحساس الفكري في الأمة : وجود السطحية في الأمة ، أي وجود النظرة الضيّقة للأشياء وللحوادث . والتفكير السطحي هو آفة الشعوب والأمم ، لأنه لا يمكنّها من النهضة بل لا يمكنّها من العيش الرغيد . وسبب التفكير السطحي هو ضعف الإحساس ، أو ضعف المعلومات ، أو ضعف خاصية الربط الموجـــودة في دمـــاغ الإنسان ، وهو ليس التفكير الطبيعي عند الإنسان وإن كان هو التفكير البدائي . ولـــولا أن افرادا من الشعب أو الأمة يوهبون قدرة خارقة من الإحساس ، والربط ، فإنـــه لا يتصـــور وجود نهضة ، ولا يتصور تقدم مادي في الحياة . وقد عانت الأمة الإسلامية كثيرا من جـــراء التفكير السطحي : فضعف المعلومات عند عامة الناس عن الإسلام ، وعن السياسة ، وعـــن الحقائق ، وطريقة التغيير ، هو الذي جعل الامة تمد يدها الى ما عند الأمم الأخرى من أفكار وتشريعات للاستفادة منها ، وهو الذي جعلها تنساق وراء الحكام مع أنهم خونة وعمـــلاء ، ولكن الحكام كانوا يملكون من الدهاء والمكر ما جعلهم يخضعون الأمة لهم ويصـــورون لهـــا بأنهم يعملون من أجل مصلحتها . وضعف المعلومات هو الذي جعل الأمـــة لا تلتفـــت الى حقائق التاريخ من مثل : كون الإسلام قوة لا تغلب ، وكون اليهـــود والنصـــارى أعـــداء للمسلمين ، وكون الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ثغرة منها ينفذ العدو الى داخـــل بلاد الاسلام . وضعف المعلومات هو الذي جعل الأمة ترى أن النهضة تكون بالأخلاق ، أو بالعبادات ، أو بالاقتصاد ، أو بالثورة ، ولا ترى أن النهضة تكون بـــالفكر ، وأن النهضـــة الصحيحة تكون بأفكار الإسلام وأحكامه . وأن الذي يحمل الفكر هو الحـــزب السياســـي وليس الأفراد ولا الكتاب ولا المصلحين ولا المعلمين . كما أن ضعف الربط هو الذي جعل الامة تقع في شراك الكفار المستعمرين مراتا ومراتا ، وتلدغ من نفس الجحر ألـــف مـــرة ، وغاب عن ذهنها قول الرسول الأكرم : ((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)) رواه أحمـــد والشيخان وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة . ففكرة التحرر من الاستعمار فكرة أمريكية قد اثارها أمريكا عن طريق عملائها أمثال تيتو وسوكارنو وعبد الناصر في مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٤ ، وكان قصد أمريكا منها اخراج الدول الاستعمارية القديمة كانجلترة وفرنســـا مـــن افريقيا للحلول محلها ، وقد سخرت الشعوب الاسلامية في ذلك افظع تسخير دون أن تدرك

أن ثوراتها من أجل التحرر كانت مخططا أمريكيا لاحلال الاستعمار الأمريكي محل الاستعمار الانجليزي والفرنسي والهولندي والبلجيكي في آسيا وافريقيا . فقد تبنت أمريكا اشعال ثـــورة في الجزائر وأوجدت عملاء لها كانوا في نظر الناس أبطال الثورة ، وجعلت مصـــر والـــبلاد العربية تسند هذه الثورة فكان لهذه الثورة أثر بالغ على الدول الاستعمارية من أجل التخلـــي عن مستعمراتها ، فتخلت انجلترة عن بعض مستعمراتها لأنها خبيرة بمعنى اعطـــاء الاســـتقلال الذي يعني ابقاء عملاء لها تابعين لها يكونون احرص منها على مصالحها وهم الوسيلة الفعالة للوجود الانجليزي في البلاد ، وابقاء القوة الاقتصادية التي تجعل لها وجودا دائميـــا في الـــبلاد كالشركات والتجارة ورجال الأعمال ، وعلى هذا الاساس اعطت انجلتـــرة بمـــدة وجيـــزة الاستقلال لعدة مستعمرات فوجدت دول زنجيبار وتنجانيقا ونيجيريا واوغندا واتحاد روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسلاند وغيرها . وأما فرنسا فقد تلكأت ولكن ديغول بعد أن رأى الموقف في العالم كيف تحوّل بسرعة سار في الخطة التي سارت فيها بريطانيـــا فـــأعطى الاستقلال لعدة دول فوجدت المغرب وتونس والجزائر والسنغال والجابون وغيرهـــا . وأمـــا بلجيكا فإنها كانت تستعمر الكونغو والكونغو كنز أفريقيا وفيها أكبر كمية من اليورانيـــوم ، المادة الجوهرية في صنع القنابل النووية ، ولذلك لم يكن من السهل اعطاء الكونغو استقلالها لا سيما وأن انجلترة كانت تسيطر على الشركات التي تستخرج المنـــاجم في كاتنغـــا احـــدى ولايات الكونغو ، ولذلك كان اعطاء الكونغو استقلالها يشكل مشكلة كـــبرى ، ولكـــن أمريكا شددت الضغط على بلجيكا حتى اعطت الكونغو استقلالها فصارت دولة مستقلة وهنا جنّ جنون انجلترة فسلّطت عميلها تشومبي فأعلن استقلال كاتنغا فرفعت أمريكا القضية الى هيئة الأمم ـــ والمعروف أن امريكا هي التي تسيطر على هيئة الأمم ـــ فأرسلت قوة دوليـــة لارجاع كاتنغا وذهب السكرتير العام حينئذ المستر همرشولد فدبّرت له انجلترا مؤامرة وقتلته ، واشتد النزاع بين أمريكا وانجلترا وظل عدة سنوات الى أن تغلبت امريكا على البلاد واقامت فيها حكومة تابعة لها وطردت تشومبي منها . وخلال ذلك خافت انجلترا على اتحاد روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسلاند ففككت هذا الاتحاد واعطـــت نياســـلاند اســـتقلالها وسميت ملاوي وأعطت روديسيا الشمالية استقلالها وسميت زامبيا وأخذت تحـــاول وضـــع

روديسيا الجنوبية على وضع يؤمن لها بقاء استعمارها لها ، ولكن أمريكا لا تـــزال تلاحقهـــا بشأنها ولا تزال قضية روديسيا تحت البحث . فضعف الربط السياسي هو الذي جعل الأمـــة تسير في مخططات الأنجليز والفرنسيين والأمريكان تحت ستار التحرر من الاستعمار . كما أنه هو الذي جعل الأمة تسير في ركب السياسيين وتسلم أمر قيادتها لهم ، مع أنه ظهر لها مرات عديدة مدى خيانتهم التي أوردت الأمة المهالك وجلبت عليها الكوارث والمصائب والنكبات ، فوق الذل والبؤس والشقاء الذي خيم على الأمة منذ أن زالت الخلافة الإسلامية وحتى هذه الساعة . ولعل الأمة تذكر أن مؤتمر القمة الذي أنعقد في الخرطوم سنة ١٩٦٧ قد قرر بشكل صريح أن لا صلح ولا مفاوضات ولا اعتراف باسرائيل ، وتعلم أن مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الجزائر سنة ١٩٧٣ وما تبعه من مؤتمرات قد خرج بقرارات تـــدعو للســـلام مـــع اسرائيل أي لاجراء الصلح معها وللاعتراف بها ولاجراء المفاوضات معهدا ، وقد بدأت مصر وسورية هذه المفاوضات ، ويراد الآن توريط الأردن ومنظمة التحرير الفلســـطينية الـــتي لم ترفض فكرة المفاوضات مع اليهود ، ولا مع أمريكا .

فالأمة تعلم ذلك ولكن خاصية الربط الموجودة عند الكثيرين من أبناء الأمة ضـــعيفة ، ولذلك لم تقف الأمة بوجه حكامها وقادتها لمحاسبتهم على هذه الخيانة الفظيعة لله ولرســـوله وللمؤمنين . وكأن الأمة قد غاب عنها أن مؤتمرات القمة كلها العربية والأفريقية والآســـيوية هي مؤتمرات ضد مصلحة الامة لا من أجل مصلحتها ، وأن حكامها في الـــبلاد الإســـلامية كلها هم عملاء للدول الكافرة لأنهم إنما ينفذون رغباتهم ويخضعون لسيطرتهم . ويقومـــون بذلك وهم متسترون تحت ظل مصلحة الأمة ، ويتظاهرون بالعمـــل مـــن أجلـــها . فهـــذا الإحساس المنحط وهذه السطحية في التفكير هو الذي لا يزال يحول بين الأمـــة وأن تهـــيء نفسها للتخلص من مؤتمراتهم ومن مؤامراتهم . لذلك كان لا بد من إيجاد الأحساس الفكري في الأمة ولا بد من رفع مستوى التفكير عند الأمة وجعله مستوى راقيا . وذلك عن طريـــق معالجة السطحية الموجودة عند الأفراد بحيث يكون العمل في الأفراد سائرا مع العمل في الأمة لترك السطحية الموجودة لديها ويسار في ذلك بما يلي :

أولا : بإزالة العادة في التفكير الموجودة لدى الأفراد ، وذلك بتعليمهم أو تثقيفهم ، ولفت نظرهم الى سخافة تفكيرهم ، والى سطحية افكارهم .

ثانيا : بإكثار التجارب لديهم أو امامهم وبجعلهم يعيشون في وقائع كثيرة ويحسون بواقع متعدد ومتجدد ومتغير .

ثالثا : بجعلهم يعيشون مع الحياة ويسايرون الحياة .

وبهذا يتركون السطحية أو تتركهم السطحية ويصبحون غير سطحيين . وهؤلاء الافراد كلما كثروا في الأمة كلما كان الأخذ بيدها نحو النهوض أسهل وأقرب للتحقيق . ولا شك أن الافراد هم أقدر من الجماعات على ترك السطحية ، وان كان لا قيمة لقدرتهم ووجود الاحساس الفكري لديهم الا إذا أخذت الجماعات ما توصلوا اليه من فكر وتتبناه وتجعله فكرها . ثم يجري العمل في الأمة على رفع مستوى تفكيرها عن طريق معالجة الواقع والوقائع التي يقع إحساس الجماعة عليها ، ووضع الأفكار السامية بينها وفي متناول يدها . والذي يقوم بهذه المهمة في الأمة والأفراد ، فيحمل اليها الفكر الذي تنهض به ، ويقوم بتثقيفها وتعليمها ولفت نظرها الى تفكيرها المنحط ، ويقوم بالتالي برفع مستوى الواقع والوقائع وتزويد الأمة بالأفكار السامية والمعلومات الكثيرة التي تلزم لها حين تسير في طريق النهوض ، الذي يقوم بذلك كله هم الأفراد الذين نالوا أعلى قدرا من الأحساس ، فتكون لديهم الاحساس الفكري ، وحينئذ صار يتملكهم الشعور بمسؤوليتهم عن أمتهم ، فانطلقوا يعملون لرفع مستواها والأخذ بيدها نحو النهوض ، ثم كتّلوا حولهم افرادا من الأمة شكّلوا منهم جماعة أي كتلة وأخذوا يعملون لنقل الناس الى الحياة الاسلامية التي لها يطمحون ، لأنها هي الحياة الحقة التي أرادها الله لهذه الأمة ، والتي يتحقق فيها وحدها الأمن والاطمئنان ، والعز والازدهار ، والرقي المادي في الحياة . فهؤلاء الأفراد هم حملة الدعوة الإسلامية وهم عيون

الأمة والثلة الواعية فيها . وهؤلاء تعترض طريقهم اثناء عملية إيجاد الاحساس الفكري في الأمة عقبات جمة لا أقلها ضعف الإحساس الفكري في الأمة ، ووقوف الحكام في العالم الإسلامي وحيلولتهم بين المسلمين والنهضة ، وبينهم وبين استئناف الحياة الإسلامية وإعادة الخلافة الإسلامية الى الوجود مرة اخرى .

حملة الدعوة يسبقون الأمة باتصافهم بالاحساس الفكري

يجب أن يكون معلوما أن حملة الدعوة في هذا العصر لا يستطيعون سبق زمانهم ولاهم من نوع يخالف نوع أمتهم ، ولكنهم يستطيعون سبق أمتهم ، ويستطيعون نقلها الى وضع آخر ، لأنهم يتصورون وقائع الحياة الراقية تصورا حقيقيا ، وذلك عن طريق تقبل الأفكار الصادقة وقبول الآراء الصحيحة واعتناق الأفكار القطعية ، أي اعتناق العقائد الإسلامية وتقبل الأفكار الاسلامية الصادقة وقبول الآراء والاجتهادات الفقهية الصحيحة ، والتمييز بين مختلف الآراء ، وإبصار واقع الآراء . فيوجد لديهم الإحساس الفكري أي الاحساس الناجم عن معرفة وادراك ، ومنطق الاحساس أي الفهم الناتج عن الإحساس مجرد الإحساس .

فهم وإن كانوا يملكون حواس كما يملك سائر الناس ، ولديهم دماغ كما لدى سائر الناس ، ولكن قوة خاصية الربط الموجودة في دماغهم يتفوقون بها عن سائر الناس ، وكونهم يعنون أنفسهم بربط الإحساس بالمعلومات السابقة ربطا صحيحا ، يكونون أكثر ادراكا للامور . أي يكون تفكيرهم تفكيرا متميزا عن غيرهم فيتكون لديهم الاحساس الفكري ، وبه يعلو منطق الاحساس فيهم أولا ، ومن ثم ينتقل عن طريقهم الى الأمة فتحصل لها النهضة قطعا .

النهضة الصناعية والتقنية

(١) نظرة الغرب والمسلمين الى العلم والتكنولوجيا.

تهدف الدول الصناعية الكبرى في هذا العصر والمتمثلة في الولايات المتحـــدة وروســـيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان الى تحقيق التقدم التكنولوجي على غيرها من الدول الأخرى غير الصناعية في كافة الميادين الاقتصادية والعسكرية ، وتهدف الولايات المتحدة بشكل خاص الى التفوق على روسيا في صناعة الأسلحة النووية والأجهزة الالكترونية والصواريخ العـــابرة للقارات والصواريخ المدمرة للأقمار الصناعية ، وقد نجحت في ذلك الى حد كبير حتى تفوقت أمريكا على روسيا ، وحتى بلغت الهوة بين الدول الصناعية الكبرى والغالبية الســـاحقة مـــن الدول الأخرى التي تسمى بدول العالم الثالث أو الدول النامية الى درجة تبعث على القلـــق والخوف على المصير . ذلك أن التقدم التكنولوجي قد أصبح في هذا العصر أمـــرا ضـــروريا لكيان أية أمة أو أية دولة ، فقوة الأمم العسكرية والاقتصادية تعتمد الى حد كبير على تقدمها التكنولوجي ، والاستقلال السياسي للأمم هو رهن بمقدرتها على تحقيق الاكتفاء الـــذاتي في التكنولوجيا وبشكل خاص على إقامة الصناعات الثقيلة التي تعتمد على درجة عاليـــة مـــن التكنولوجيا والمعرفة . ولكن نظرا لغلبة التفكير الرأسمالي على الدول الصـــناعية وهـــي دول استعمارية ، فقد وجدت بينها وبين الدول النامية التي تشكل أكثر من ٧٠ بالمائة من سكان العالم فجوة هائلة من التخلف الصناعي والتكنولوجي تفصلها عن الدول المتقدمة .

والدول المتقدمة في هذا العصر تكنولوجياً هي الدول والمجموعات التالية :

١ـــ الدول الغربية : وتتشكل من الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن دول السوق الأوروبيـــة المشتركة التي تتزعمها بريطانيا وهي (ايرلندة وفرنسا وإيطاليا وبلجيكـــا واللوكســـمبورغ

وهولندة وألمانيا الغربية) واليابان ، ومجموعة الدول الاسكندنافية (السويد والنرويج وفنلدة) ثم كندا ، وسويسرا .

٢ــ الدول الاشتراكية : وتتشكل من الاتحاد السوفياتي وألمانيا الديمقراطية (بولندة) وبلغاريا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، ومنغوليا ، وبيبلوروسيا ، وأوكرانيا ، والصين .

أما سائر الدول فهي الدول النامية المستوردة والمستهلكة للتكنولوجيا ، والمتخلفة في حقل التصنيع ولا سيما الصناعات الثقيلة ومنها صناعة الأسلحة ، وهذه تتكون من سبع وسبعين دولة أفريقية وآسيوية تدخل فيها الأقطار العربية بالاضافة الى دول أمريكا اللاتينية ، وهي كلها لم تتحرر بعد من سيطرة ونفوذ الدول الكبرى التي تملك ٩٥ بالمائة من المواد الخام اللازمة للتصنيع ، بسبب سيطرتها على الدول الأفريقية والأسيوية ودول أمريكا اللاتينية واستعمارها لها ، واستغلالها ونهبها لثرواتها وخيراتها الطبيعية ، مع كونها لا تمثل الا جزءا قليلا من مجموع سكان العالم .

أ- التنافس التكنولوجي بين الدول الصناعية :

تعتبر أمريكا الدولة الأولى في العالم القادرة على التأثير في الموقف الدولي وفي السياسة الدولية ، وهي كدولة استعمارية تهدف في سياستها الاقتصادية الى التفوق الاقتصادي والعسكري على غيرها من الدول الصناعية وخاصة روسيا بوصفها الدولة التي تزاحمها على اقتصاد مركز الدولة الأولى . ولذا فإنها بعد الحرب العالمية الثانية حاولت منع حلفائها من صنع الأسحلة الذرية والنووية ، فمنعت الأسرار عن بريطانيا وحاولت عرقلة برامجها ، ثم فعلت نفس الشيء بالنسبة لفرنسا فقد منع جونسون بيع أجهزة كمبيوتر أمريكية متقدمة الى فرنسا ، فتأخر لذلك البرامج النووي الفرنسي لمدة سنتين ، والغرض من ذلك أن تبقى أمريكا حلفائها في حاجة لحمايتها . كما ضغط كارتر على الدول النووية لايقاف شحنات اليورانيوم

المكثف اليها حيث تزود أمريكا العالم غير الشيوعي بنصف احتياجاته من اليورانيوم ، وقامت أمريكا بحملة ضد ما يسمى FAST BREEDER REACTORS بحجة منع انتشار المـــواد الـــتي تصلح للاستخدام في الأسلحة النووية ، حتى استطاعت في أواخر السبعينات أن تسيطر على ٧٠ بالمائة من سوق المفاعلات النووية العالمي ، وفي صناعة الكمبيـــوتر تحتكـــر الشـــركة الأمريكية العملاقة IBM ٦٠ بالمائة من تجارة العالم في هذا المجال ، وفي مجال الطيران المدني حارب الأمريكان طائرة الكونكورد وهي الطائرة المدنية الوحيدة التي تفوق سرعتها ســـرعة الصوت لأن الشركات الأمريكية تخلت عن مشاريع لبناء طائرة مماثلة وهي أيضا تسيطرة على نسبة عالية من سوق الطائرات المدنية العالمي ، وفي صناعة الفضاء استطاعت أمريكا أن تنفرد بصنع الطائرة الفضائية (شالنجر) وقد قامت بأكثر من خمسين رحلة حول الأرض حتى الآن . ولا زالت أمريكا تعمل على تطوير تكنولوجيا الاشعاع وتكنولوجيا الالكترونـــات حـــتى استطاعت في العام الماضي أن تتفوق على روسيا في صناعة الكمبيوتر والصـــواريخ العـــابرة للقارات والصواريخ المدمرة للأقمار الصناعية ، وهذا ما حدا بريجان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الى الإعلان عن مشروع حرب الفضاء في أوائل عام ١٩٨٦ والإعلاتن في أوائـــل نوفمبر عام ١٩٨٥ عن أن مشروع حرب الكواكب لن ينفذ الا بعد التخلص من الأســـلحة النووية الهجومية لدى القوتين العظمتين وأنه لن يعمم الا بعد التفاوض مع الدول التي لدينـــها ترسانات نووية ، وأعلن في نفس الوقت عن نجاح التجارب الجديدة التي أجرتهـــا الولايـــات المتحدة الأمريكية في حقل تفجير الصواريخ واصطياد الأقمار الصناعية . أما عن قوة روســـيا فإنها تأتي بعد أمريكا في التفوق التكنولوجي وبشكل خاص في تكنولوجيا التسلح وصـــناعة الفضاء ، الا أنه توجد عند الروس نقاط ضعف كثيرة في مجال العلـــم والتكنولوجيـــا فهـــم يتأخرون عن الأمريكان في صناعة الكمبيوتر ، وقد استورد الروس بعض أنواع الكمبيـــوتر الأمريكية التي تستخدم للتنقيب عن النفط ، والمعروف أن الصناعة الروسية متأخرة في مجالات منها صناعة السيارات والمفاعلات النووية والذرية . ولا تزال كل من أمريكا وروسيا حريصة على تتبع أسرار التكنولوجيا عند الأخرى بمختلف الوسائل .

وأما الدول الصناعية الأخرى فإن ألمانيا الغربية واليابان تأتي في مقدمة الدول الصناعية بعد العملاقين وقد أخذت كل منهما تنافس أمريكا على غزو الأسواق العالميـــة ، وكـــذلك بريطانيا وفرنسا فقد غزت البضائع الأوروبية واليابانية الأسواق الأمريكية في مجال السيارات وصناعة الفولاذ والصناعات الالكترونية . ولعل الذي مكن هذه الدول الصناعية الكبرى من تطوير الانجازات العلمية والتكنولوجية بهذا الشكل المخيف والمذهل هو عدم دخـــول هـــذه الدول في أية حرب عالمية منذ الحرب العالمية الثانية ، وفي ذلك يقول هويزر قائد قوات حلف الاطلنطي (الناتو) وقائد القوات الأمريكية العام في أوروبا : " أن الأعوام التي أعقبت الحرب العالمية الثانية إتسمت بالسلام والرخاء في غرب أوروبا وبالتالي زادت التطور التكنولـــوجي الذي أسهم في التقدم السريع في المجالين المدني والعسكري . ولم تكن العلاقة بـــين التقـــدم التكنولوجي المدني والعسكري من قبيل المصادفة ، بل أن هناك عوامل أساسية أوجدت هذه العلاقة ، ولقد تدارس هذا الأمر اعضاء حلف شمال الأطلنطي (الناتو) . وفي جو السلام هذا أصبحت الظروف مهيأة تماما لمثل هذه البحوث المتعلقة بتطوير شؤونهم العسكرية والمدنيـــة ، وتناولوها من كل جوانبها بالعقل المفتوح "

(مجلة الناتو العسكرية : NATO'S SIXTEEN NATIONS) .

وهذا يعني أن التطور التكنولوجي لأية دولة في هذا العصر لا يتوقف على توفر القـــدر العالي من العلم والتكنولوجيا والخبرات الفنية والقدرة على التصنيع فحسب ، بل يتوقف أيضا على الرخاء المادي والأمن وعدم إنشغال الدولة في حروب عظيمة تنهك قواها وتشـــل مـــن قدراتها على تطوير العلوم والصناعات وتطوير قواتها العسكرية ، وبالتالي تحول بينـــها وبـــين تحقيق التقدم التكنولوجي . وقبل ذلك وبعد ذلك يحتاج الى قدرة مالية ضخمة للإنفاق على الإختراعات والتجارب التكنولوجية للأسلحة والمعدات الحربية والأجهزة والآلات الصـــناعية والفنية الازمة لأمور التجارب والاقتصاد والجيش ، ولذا يقول الجنرال هويزر : " هناك علاقة وثيقة بين القوة العسكرية للدولة وقدراتها المالية ، فكلما زادت القدرة المالية للدولـــة كلمـــا مكنها ذلك من سرعة تطوير تكنولوجياتها وبالتالي تطوير قدراتها العسكرية .

ب ـ معنى التكنولوجيا والفرق بينها وبين العلم :

تستخدم كلمة تكنولوجيا حاليا بكثرة في مجالات مختلفة الى حد أنها أصبحت تستخدم أحيانا في غير موضعها الصحيح ، ولذلك عرّفت بتعاريف كثيرة فقيل أنها (الجهد المنظّم الرامي لاستخدام نتائج البحث العلمي في تطوير أساليب العمليات الإنتاجية) وقيل أنها (مجموع الوسائل التي يسخرها الإنسان لبسط سيطرته على البيئة المحيطة به لتطويع ما فيها من مواد وطاقة ، واشباع حاجاته المتمثلة في الغذاء والكساء والتنقل ومجموع السبل التي توفّر له حياة رغيدة متحضرة آمنة) وعرّفت كذلك بأنها (أسلوب العمل المنظّم الذي تنفّذ وتطبّق به خلاصة الأبحاث العلمية وما توصلت اليه هذه الأبحاث من نتائج مستقرة . وذلك بإجراء عمليات التنفيذ بأساليب متطورة بحيث يتحقق من ذلك أكبر عائد وأفضل فائدة) . ولو دققنا في هذه التعاريف لوجدنا أن أقربها الى الصواب التعريف الأول الا أنه قد قَصَر التكنولوجيا على تطوير أساليب العمليات الإنتاجية مع أنها أعم من ذلك إذ يدخل فيها تطوير أشكال المادة لخدمة الإنسان ورفاهيته ، لذا كان من الأدق أن يقال أنها (الجهد المنظم الرامي لإستخدام نتائج البحث العلمي في تطوير أشكال المادة وتطوير أساليب العمليات الإنتاجية لخدمة الإنسان وتحقيق رفاهيته) .

أما العلم فقد عرّفه البعض بأنه (المعرفة التي تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج مثل علم الطبيعة وعلم الكيمياء وسائر العلوم التجريبية) وعرّفه البعض الآخر بأنه (مجموعة العلوم الطبيعية التي تحتاج الى تجربة ومشاهدة واختبار سواء أكانت أساسية كالكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والجيولوجيا ، أو تطبيقية كالطب والهندسة والزراعة والصناعة وما شاكلها) الا أن التعريف الأول أدق من حيث كونه أكثر شمولا وإحاطة من التعريف الثاني . وعليه فإن التكنولوجيا إنما تبحث في تشكيل المادة في أشكال مختلفة لخدمة الإنسان وزيادة رفاهيته وذلك إما بزيادة في خصائصها وما هيتها أو بإضافة خصائص وما هيّات في مواد أخرى اليها . وان معرفة خصائص المواد وماهيتها تساعد

على القيام بالعملية الهندسية المتعلقة بإيجاد الأنظمة التكنولوجية من تصميم وتصنيع وتشغيل وصيانة . بينما العلم يهتم بمعرفة المادة مما تتكون وما هي خصائصها ، فيبحث في أصغر أجزاء المادة وهي الذرة ونواتها وجسيماتها كما يبحث في أضخم أشكال المادة كالشموس والمجرات الكبار والسدم الفظيعة المنشورة في رحاب الكون المترامي ، ويبحث كذلك في الطبيعة وما فيها من أحياء وكائنات ونباتات وجمادات وما الى ذلك . وتدين التكنولوجيا في الكثير في أبحاثها لعلوم الطبيعة والكيمياء والالكترونات ، فبفضل الاكتشافات العلمية الحديثة في فروع العلم هذه أمكن تحقيق الكثير من الإنجازات التكنولوجية : العسكرية والتجارية وتكنولوجيا المحركات وتكنولوجيا الفضاء والصناعات الثقيلة وما شاكلها من أنواع التكنولوجيات الحديثة التي اكتسحت كافة ميادين الحياة وانتقلت منها للدول النامية ولو على نطاق ضيق ومحدود بسبب احتكار الدول الصناعية المتقدمة لأسرارها التكنولوجية وهذا مما أدى الى سوء التوزيع التكنولوجي في العالم .

جـ ـ تهديد العلم والتكنولوجيا لحياة الشعوب :

إن العلم والتكنولوجيا وإن ساعدا في هذا العصر على تأمين الوسائل المريحة للإنسان لتسهيل قيامه بالأعمال ولزيادة رفاهيته وسعادته ، إلا أنهما قد صارا يستعملان على الأغلب في الأغراض الحربية حتى أنتجا الأسلحة النووية والإشعاعية الخطيرة التي من شأنها تدمير العالم كله في فترة زمنية قصيرة ، مما أدى الى تهديد مستقبل الإنسانية جمعاء بالفناء التام وبثّ الرعب والخوف في نفوس الناس في كل مكان . مع أن العلم والتكنولوجيا يجب أن يكونا مصدرا لرخاء الإنسان وتحقيق الأمن والإزدهار والرفاهية له ، وهذا هو الأصل في مسألة العلم والتكنولوجيا ، ولكننا رأينا أنه منذ أن اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى أخذت الدول الكبرى تسخر العلوم في التكنولوجيا العسكرية والحربية على نطاق واسع ، بفضل ما وفرته الثورة الصناعية الأوروبية من قدرات إنتاجية كبيرة عن طريق إبتكار الآلات والإعتماد عليها في مضاعفة الإنتاج الصناعي . فقد أعطت الحرب العالمية الأولى الامتداد والإتساع في الزمان

والمكان بفضل تنازع أطراف الصراع من الحلفاء ودول المحور ، فكانت أولى الإنجازات العلمية والتكنولوجية في الحرب باستخدام المدافع الرشاشة والغازات الحربية والدبابات والطائرات . وكان هذا أول الإنحراف في طريق تسخير العلم والتكنولوجيا لإنتاج الأسلحة الفتاكة المدمرة بعد ذلك .

ولهذا فإنه ما أن اندلعت الحرب العالمية الثانية حتى تسابقت دول الحلفاء والمحور في مجال تطوير الصناعات الحربية ، فاستقدموا العلماء وشجعوهم على البحوث العلمية ولا سيما بحوث العمليات العسكرية للوفاء بمتطلبات الحروب الحديثة . حتى أن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها قد سخرت ٣٠.٠٠٠ عالم ومهندس لهذا الغرض ، كما أعطت ألمانيا النازية نفس القدر من الإهتمام للبحوث العلمية والتكنولوجيا الحربية وتمخضت هذه الجهود عن منجزات تكنولوجية حربية متطورة ومتميزة في الطائرات النفاثة والرادار والمدافع الآلية والدبابات ، والألغام المغناطيسية والطوربيدات البحرية والصواريخ ف١ و ف٢ التي كانت المنطلق الأول للصواريخ عابرة القارات والصواريخ المدمرة للأقمار الصناعية . ثم جاء إنتاج أمريكا للقنبلة الذرية والقاؤها على (هيروشيما وناكازاكي) في اليابان لإنهاء الحرب ، وكانت هذه القنبلة الذرية من أخطر أنواع الأسلحة التي أنتجتها التكنولوجيا الحديثة حتى أنها دمرت معالم المدينتين اليابانيتين تدميرا كليا وبشكل رهيب ومفجع .

و لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أنّ انقسام العالم بعد الحرب العالمية الثانية الى دولتين عظمتين تتنافسان على السيادة الدولية واستعمار الشعوب قد أوجد ما يسمى بسباق التسلح ، لتحقيق التفوق العلمي والتكنولوجي والتقدم العسكري الذي يحمي نظام كل منهما في مواجهة الآخر ، واستهدف هذا التنافس تطوير الكثير من المعدات التكنولوجية الحربية في مجال الذرة والليزر والحاسبات الالكترونية (الكمبيوتر) وفي معدات وأجهزة الاتصال والانذار والسيطرة والتوجيه ، وما الى ذلك من أنواع المعدات الحربية . وبهذا تركزت أبحاث العلم والتكنولوجيا على تطوير أدوات القتال والتدمير في الدرجة الأولى ، ولأجل ذلك

خصصت أمريكا المخصصات المالية الضخمة للبحوث العلمية المتعلقة بتطـــوير التكنولوجيـــا الحربية . ففي حقل تطوير بحوث الليزر فقط أنفقت أمريكا حتى الآن ١٥٠٠ مليون دولار ، كما أنفق الأتحاد السوفياتي حوالي ٥٠٠٠ مليون دولار لنفس الغرض ، وكانت حصيلة هذه البحوث أن تفوقت أمريكا على روسيا في بحوث تكنولوجية الليـــزر ، واســـتطاع الاتحـــاد السوفياتي أن يتفوق على أمريكا في بحوث تكنولوجية أشعة الجسيمات الدقيقة . وهكذا فإن النهضة العلمية الحديثة قد أوجدت خطرا جسيما يهدد البشرية جميعا وهو خطر اســـتخدام الأسلحة النووية وأسلحة الليزر التي تسبب التدمير الشامل لكل ما على الأرض من حيـــاة ، لاسيما وأن الإتحاد السوفياتي يمتلك من الرؤوس النووية ٧٩٠٠ رأسا نوويـــا بينمـــا تملـــك الولايات المتحدة ١١.٠٠٠ رأس نووي .

وتتلخص أخطار التكنولوجيا الحديثة في ثلاثة أمور :

١ ـــ أخطار التكنولوجيا على الإقتصاد .
٢ـــ أخطار التكنولوجيا على البيئة .
٣ـــ أخطار التكنولوجيا على الجنس البشري .

أولا : أخطار التكنولوجيا على الاقتصاد :

إن تقدم الاختراعات الحديثة وتطور التكنولوجيا الصناعية قد أدى في هذا العصـــر الى انقلاب خطير في الصناعة ، فزاد الإنتاج في المصانع زيادة لم تكن تخطر ببال ، وغدا المصـــنع الآلي الذي يعتمد على الآلات والأجهزة الالكترونية أكثر من اعتماده على القوى البشـــرية والأيدي العاملة أساسا من أسس الحياة الاقتصادية ، حتى صارت الآلات هي الـــتي تصـــنع الأدوات والمواد الصناعية المختلفة ، وهي التي تقوم بالطباعة والتظهير والتحميض للأفـــلام ،

وتقوم التصاميم والأشكال الهندسية الدقيقة وتحسب أصعب العمليات الحسابية في ثـــوان ولا سيما بعد ظهور الآلات الحاسبة والأجهزة الالكترونية كالكمبيوتر ونحوها من جرّاء تقدّم علم الالكترونات . مما أدّى الى وجود أزمة عمل وبطالة ضخمة ، وهي اليوم تبدد الدول الصناعة الكبرى بكثرة العاطلين عن العمل . ذلك أن أرباب العمل تتحكم فيهم النظرة الرأسمالية التي تقوم على النفعية والربح فرأوا أن تكاليف الإنتاج تكون أقل بكثير فيما لو أنهـــم اســـتعملوا التكنولوجيا الحديثة لتطوير مصانعهم وجعلها تعتمد على الآلات بالدرجـــة الأولى ، لـــذلك فإنهم منذ أن وجدت هذه الآلات جعلوها تحل محل الإنسان فقاموا بطرد الملايين من العمـــال من المصانع والشركات واستعاضوا عنهم بالآلات والأجهزة الالكترونية . وهذا ممـــا أرهـــق الدول الرأسمالية في تخصيص النفقات المالية الكبيرة للعاطلين عن العمل بالرغم من كونهـــا لا تعطي العاطلين الا الحد الأدنى من الأجور والتعويضات . وقد تسبب عن ذلك ضياع جهود كبيرة كان يمكن أن تنتج وتكسب وتؤدي دورها في تقدم الإنتاج ودفع عجلة الصناعة . وفي ذلك ما فيه من فساد وضرر كبيرين ، إذ البطالة تدفع بصاحبها الى أن يبحث عن المال مـــن أي وجه يراه ومن أي طريق ، ونظرا لأن الدولة لا تسد كافة احتياجات الشعب المعيشـــية والصحية والكمالية فقد كثرت من دول الغرب حوادث السرقة والغصب وحوادث القمـــار والقتل والاحتيال ، وجعلت فئة كبيرة من العاطلين حاقدين على المجتمع وزرعت في نفوسهم الحسد على الأغنياء والعاملين .

ثانيا : أخطار التكنولوجيا على البيئة

إن التكنولوجيا الحديثة وإن طورت على صعيد الحرب والسلم الآلات والأجهزة الـــتي كان لها أكبر الأثر في السيطرة على عنصر المكان (المسافة) والزمان (السرعة) برّا وبحـــرا وجوّا وفضاء ، وذلك باختراع وسائل النقل الضخمة كالباصات والشـــاحنات المزدوجـــة والسفن التجارية وناقلات النفط العملاقة ، والطائرات السريعة التي تفوق ســـرعتها ســـرعة الصوت ، ومركبات الفضاء والمحطات الفضائية ونحوها من وسائل المواصلات والنقل ، وهي

وإن طوّرت بالتالي أدوات الحرب القتالية وأجهزة التنصت والتجسس بشكل مذهل فابتكرت الرادارات والأقمار الصناعية والطائرات النفاثة والمقاتلات الجوية والسفن الحربية كحاملة الطائرات وحاملة الجند والغواصات والصواريخ والبوارج الحربية وأنظمة الليزر ونحوها من المعدات الحربية ، بالإضافة الى تطوير المصانع في ابتكار أسرع الطرق في تشكيل الخامات وأكثرها فاعلية وانتاجا ، وفي استغلال الطاقة كالنفط والكهرباء والطاقة الشمسية والنووية ، والانتفاع بعلم الميكانيك (الآلات) في تطوير المصانع حتى صارت الآلات هي التي تصنع كل شيء في المصنع وتقوم بكل الأعمال أو معظمها ، فحلت بذلك الآلة محل الانسان وصار دور الإنسان لا يتعدى الاشراف والتحكم بهذه الآلات . الا أنه بالرغم من هذا التقدم الهائل الذي حققته التكنولوجيا في هذا العصر فإن وجود المفاعلات النووية قد صار ينذر بخطر تلوث البيئة وتهديد المنتوجات والحاصلات الزراعية والمواشي ومياه الشرب وحياة البشرية جمعاء بأخطار جمة لا قبل لأحد بتصورها . فإن محطات الطاقة النووية الموجودة في أربع عشر دولة والبالغة زهاء ٣٠٦ محطات ، قد شهدت منذ عام ١٩٧١ وحتى اليوم مائة وواحدا وخمسين حادثا ، وكادت أن تؤدى الى تسرب مقادير كبيرة من الاشعاع النووي الى أن حصلت حادثة تهدم بعض أجزاء المفاعل النووي الروسي (تشيرنوبيل) الذي يقع على بعد ١٣٠ كيلومترا شمالي مدينة كِيف بجمهورية أوكرانيا السوفياتية ، وذلك في الثامن والعشرين من شهر أبريل الماضي . وعلى أثر الحادث أعلنت منظمة السلام الأخضر (Green Peace) للبيئة من لندن ، " أن الحادث النووي السوفياتي سيؤدي الى ظهور عشرة آلاف حالة سرطان في غضون عشرين عاما في دائرة قطرها ألف كيلومتر حول المفاعل " . وأعلن البروفيسور (روتبلات) أحد كبار أخصائي أمراض الاشعاع : " أن هناك عدة مراحل للاصابة بأمراض الاشعاع وسيظل الناس يعانون من آثاره ثلاثين عاما قادمة " وذكر أن أخطار الاشعاع تؤدي الى اعتلال الكليتين والكبد والى اتلاف نخاع العظام واضعاف جهاز المناعة في الجسم ، كما أنها تؤدي الى الاصابة بسرطان العظام والالتهاب الرئوي وغير ذلك من الأمراض . وفور انتشار خبر تسرب الاشعاع من مفاعل (تشير نوبيل) انتاب الناس في العالم الخوف والذعر والترقب وخاصة الملايين من الأوروبيين القريبين من الحدود الروسية بما

في ذلك سكان المناطق الروسية ، ووصلت المخاوف الى الـــدول الآســـيوية وماجاورهـــا ، وانعكس القلق على أسواق المواد الغذائية في العالم وخاصة الحبـــوب والســـكر ، وأصـــاب الاشعاع الحاصلات الزراعية الروسية والمواشي والمياه فيها ، ولا زال العالم حتى الآن يتحدث عن أخطار اشعاعات مفاعل (تشير نوبيل) .

ثالثا : أخطار التكنولوجيا على الجنس البشري :

أظهرت الاختراعات الحديثة تطويرا هائلا وخطيرا في مجال صناعة الأسلحة حتى انتجت السلاح النووي وركبته على رؤوس نووية تحملها صواريخ بعيدة المدى أطلق عليها صواريخ عابرة القارات ، وقد وزعت هذه الصواريخ في المناطق الروسية والأمريكية وفي قلب أوروبا ، حتى صار من الممكن القضاء على جميع الكائنات الحية على وجـــه الأرض بواســـطة هـــذه الصواريخ النووية . ذلك أن الأسلحة النووية من شأنها كما تقول الدراســـات العســـكرية النووية : أن تُغيّر مناخ الكرة الأرضية بحيث تقضي على معظم الكائنات الحية ـــ ان لم يكن جميعها ـــ وهذا ما يعرف علميا باسم الشتاء النووي ، وتماثلها أسلحة الليزر التي يعتمد عليها مشروع الرئيس ريغان المعروف باسم حرب النجوم فإنه في مقدروها بعد تطويعها علميا أن تحرق مجموعة مدن بأكملها بسهولة تامة ، ومن الممكن أن يمتد الهجوم بهذه الأشعة من مدينة لأخرى بسرعة عجيبة خلال ساعات معدودة مما يجعل التحكم بها والقضاء على آثارها ضربا من المستحيل ، اذ أن النيران المنبعثة عنها من شأنها أن تُكَوِّن سحابات من الدخان الكثيـــف يماثل الدخان المتصاعد عقب نشوب الحرب النووية . وينتاب العالم كله اليوم هاجس فظيـــع بسبب الخوف من الإبادة الجماعية في الحرب النووية المتوقع حدوثها بين روسيا وأمريكا ، أو في حرب النجوم التي تعد لها أمريكا المشروعات للتسعينات من هذا القـــرن . وإن مختلـــف وجهات النظر العلمية متفقة حتى الآن على أن رداءً كثيفاً من الظلام والســـحب الدخانيـــة سيلف جو الكرة الأرضية في حالة نشوب الحرب النوويـــة ، كمـــا أن درجـــات الحـــرارة ستنخفض بمستوى ملحوظ وستشهد الكرة الأرضية أيضا هبوب رياح وأعاصير عنيفة تؤدي

الى انتشار الغبار الذري والاشعاع النووي ، ويصاحب ذلك تأثير خطير على كافة مظـــاهر الحياة بحيث يؤدي الى الشلل التام في الموصلات والكهرباء ، وفي الانتاج الزراعي وصـــناعة المواد الغذائية ، والرعاية الصحية ، والخدمة المدنية ، والشلل الكلي في أجهزة الدولة المركزية . وتقول نتائج البحوث الأخيرة أنه حتى في المناطق البعيدة عن ميدان الحرب النووية كأستراليا وأفريقيا ، فإن الباقين على قيد الحياة سوف تحصدهم المجاعـــات والاشـــعاعات النوويـــة ، وستسبب في انهيار جهاز الصناعة في أجسامهم والى اصابتهم بالأمراض الفتاكة ، ومـــا إلى ذلك من الآثار الفظيعة التي يتوقع أن تسببها الحرب النووية ..

وهكذا تمثل هذه الأسلحة الجهنمية تهديدا مستمرا للإنسان وللجنس البشري قاطبـــة ، فإن ما بحوزة الدول الكبرى من الصواريخ النووية كاف لتدمير كل شيء على وجه الأرض .

د ـ موقف الإسلام من العلم والتكنولوجيا :

إن الإسلام يبيح أخذ العلم والتكنولوجيا من أي مصدر شريطة ألا يعـــارض العقيـــدة الإسلامية أو يضعفها كنظرية داروين فيما يتعلق بخلق الإنسان الأول ، وبشرط أن لا تـــؤدي الى إفناء الشعوب أو تشكيل خطر عليها كالفيزياء النووية في يتعلق بإنتاج الأسلحة النووية . أما كون الإسلام يبيع أخذ العلم والتكنولوجياعن أية أمة من الأمم ، فلأن الرسول الكـــريم صلى الله عليه وسلم قد حض على طلب العلم مطلقا من أي مصدر كان ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((أطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كـــل مســـلم)) (رواء الخطيب في كتاب الرحلة في طلب الحديث ص ١ وفي تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٦٤ وكذلك ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٧ــ٨ وابن عدي في الكامل ق ٢٠٧ / ب مخطوطة الظاهرية عن أنس بن مالك ، وقد ردّه بعض المحدثين كالعقيلي والسيوطي ، وقبلـــه البعض كالذهبي والحافظ المزي) وقال عليه الصلاة والسلام : ((العلم ضالة المؤمن حيـــث وجده أخذه)) (رواه العسكري عن أنس مرفوعا ـــ أنظر كشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص

٣٦٣) وبديهي أن العلم الذي يطلب في الصين ويؤخذ عن أي أمة من الأمم ليس هو العلم بالأحكام الشرعية التي تلزم المسلم في حياته كالمعاملات والمطعومات ، وإنما هو العلم التجريبي والعلوم الطبيعية مطلقا والصناعة والتكنولوجيا ونحوها . وأيضا فقد ترك لنا الإسلام أمر تعلم العلوم والتكنولوجيا والبحث عنها والوقوف فيها على كل ما يلزمنا تعلمه من علوم وصناعات لتحقيق الرفعة والإزدهار والتقدم الاقتصادي والعسكري ، وقد دل على ذلك حديث تأبير النخل وقول الرسول فيه للمزارعين : ((أنتم أعلم بأمر دنياكم)) (انظر صحيح مسلم حديث رقم ٢٣٦٣) ويدخل في الحديث جميع العلوم والحرف والصناعات ، كما يدخل فيه أساليب التكنولوجيا الحديثة وكل ما يتعلق بها من معارف والعلوم . وفوق ذلك فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم من يتعلم صناعة السلاح في اليمن فوجه اثنين من الصحابة وهما عروة بن مسعود وغيلان بن مسلمة الى جرش اليمن لكي يتعلما صناعة الدبابة ، وذلك بعد أن علم بهذه الآلة وبقدرتها على اقتحام الحصون (انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ١٣٢) .

وعليه فالعلم يبحث في تركيب المادة كالفيزياء والكيمياء عالمي ولاشيء في أخذه من الكفار الغربيين أو الشيوعيين ، وكذلك التكنولوجيا المتعلقة بصناعة البتروكيماويات وصناعة السفن والصواريخ والطائرات ، وصناعة مركبات الفضاء وأجهزة الكمبيوتر وغيرها ، فهي أيضا عالمية ولا يوجد ما يمنع من أخذها عن الأمريكان أو الروس أو الأوروبيين . ولكن يجب أن نراعي في أخذها عدم مناقضتها للعقيدة الإسلامية أو عدم زعزعتها لها ، وعدم إنزال الضرر ببني الإنسان حين استخدامها وذلك كنظرية المصادفة لهنسلي وكريس موريسون التي تحتم وجود الكون والإنسان والحياة والطبيعة من تلقاء ذاتها دون حاجة لوجود خالق لها .

فهذه النظرية العلمية لا تؤخذ ويمنع تدريسها في المدارس والجامعات لكونها تنكر وجود الخالق وتنفي حدوث الخالق وهذا مما يتناقض مع العقيدة الإسلامية فإن الله تعالى يقول : ((الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ...))

السجدة : ٤ ويقول : ((الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان مـــن طـــين)) السجدة : ٧ ويقول : ((إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصـــر)) القمر : ٤٩ : ٥٠ .

وكذلك التكنولوجيا التي تهدد حياة الكائنات الحية والجنس البشرى قاطبـــة وتشـــكل خطرا على الإقتصاد والبيئة لا تؤخذ بتاتا ، لأن المحافظة على الجنس الإنساني فـــرض ، ولأن إنزال الضرر بالإنسان وبالمجتمع يعتبر حراما فإن الله تعالى قد حرم الإعتداء على أرواح الناس بالقتل فقال عزّ من قائل : ((من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفســـا بغـــير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون)) المائدة : ٣٢ . فإذا كان قتل النفس بغير قصاص كقتل القاتل العمد أو بغير فساد في الأرض يؤجب إزهاق الروح كالردة وقطع الطريق قد اعتبره الشرع كقتل جميع الناس ، فكيف لو كانت الأسلحة النووية وأمثالها من الأسلحة الخطيرة المدمرة تؤدي إلى قتل وإفناء البشرية قاطبة والقضاء على جميـــع الكائنات الحية على وجه الأرض ؟؟ إن هذا ولا شك يعتبر أعظم جرما وأشد تحريما . على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حرم ترويع المؤمن والذمي والمعاهد وإخافته فقال : ((مـــن أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامه وعليه لعنة الله وغضبه الى يوم القيامة لا يقبل منـــه صرف ولا عدل)) (رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن جابر رضي الله عنه ـــ أنظـــر فيض القدير ج ٦ ص ٤٠) وقد كانت المدينة آنذاك عاصمة الدولة الإسلامية الأولى الـــتي أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم ونقطة ارتكازها ، وكـــان فيهـــا المســـلمين والـــذميين والمعاهدين . وواقع الأسلحة النووية أنها تروّع السكان الآمنين وتنشر الذعر والخوف بينهم ، ولذا فإنه يمنع إقامة المفاعل النووية في بلاد الإسلام ، ويمنع تصنيعها وإستعمالها مـــن هـــذه الناحية أيضا ـــ ولكن هذا في الأحوال العادية وحال سيطرة الإسلام على العـــالم . أمـــا في الوقت الراهن فلا بد من إعداد القوة النووية مصداقا لقوله تعالى : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...)) الأنفال ـــ إلا اذا استعملها العدون مع المسلمين فإنه حينئذ يجوز استعمالها من

قبيل المعاملة بالمثل قال تعالى : ((وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)) (النحل : ١٢٦) فإن لم يستعملها العدو في حربه مع المسلمين فلا يجوز أن نستعملها لأنها تهلك البشر والجهاد هو لإحياء البشر بالإسلام لا لإفناء الإنسانية .

وحتى يحال بين العالم وبين إستعمال هذه الأسلحة فإنه لا بد من تصحيح مفهوم التسلح وإيجاد رأي عام دولي ضد الأسلحة النووية لكي يكون أداة ضغط دولية ضد قيام الدول العظمى أو من يلحقها من الدول الأخرى المصنعة للأسلحة النووية باستعمال هذه الأسلحة في أية حرب عالمية في المستقبل ، أو في استعمال أي سلاح مبيد فتاك كسلاح الليزر ونحوه من الأسلحة المدمرة . ولا بد من العمل على إلغاء الأبحاث النووية والتجارب النووية في قاع المحيطات والمناطق الصحراوية أو ما شابهها من الأماكن ، وأن يجعل هذا رأيا عاما لدى جميع الشعوب . كما لابد من العمل على عدم إعطاء حق إبرام الإختراع من قبل أي دولة في العالم لأي سلاح فتّاك كالسلاح النووي والإشعاعي (الليزر) ونحوها من الأسلحة ، وأن يصبح هذا قانونا دوليا عاما وعرفا عاما لدى جميع الدول والأمم والشعوب . أما بالنسبة لوجود السلاح النووي لدى القوتين العظمتين ولدى الدول الصناعية بما في ذلك اسرائيل ، فإن الحل الأمثل لا يكمن في تخفيض عدد الصواريخ النووية فحسب ، بل في التخلص منها في الفضاء الخارجي بعيدا عن نطاق الأرض للتخلص منها نهائيا . أي أنه يجب على القوتين العظمتين والدول النووية الأخرى أن تتخلص من الأسلحة النووية وسائر أسلحة الدمار ، وأن تكبح جماح هذا التسلح الرهيب بالامتناع عن تصنيع أسلحة (حرب النجوم) وغيرها من أسلحة الرعب والدمار الاشعاعية والنارية والكيماوية . وهذا من شأنه أيضا أن يعالج خطر الإشعاع النووي ، المنبعث من المفاعلات النووية في العالم . ولذا فإن كل الأبحاث النووية يجب أن توقف ، وكذلك كل المفاعلات النووية المنتشرة في الدول الصناعية والدول النامية يجب أن تهدم ويعطّل مفعولها .

وأما معالجة خطر التلوث المنبعث من المصانع البتروكيماوية ونحوها فإنه يكون ينقل هذه المصانع الى الصحراء أو الغابات أو المناطق النائية البعيدة عن المدينة . والكل يـــذكر حادثـــة شركة (يونيون كاربيد) في مدينة بوبال الهندية حين تسرب من إحدى مصانعها لمبيـــدات الحشرات غاز سام هدد حياة ٢٠٠ ألف مسلم في المدينة المذكورة . فهذا قد كان بســـبب وجود المصنع الكيماوي داخل المدينة ، وبسبب عدم وجود أجهزة الإنذار المبكر ضد أخطار تسرب الغاز . فكان من المحتم نقل المصانع البتروكيماوية إلى خارج المدن وتزويدها بالأنظمة الحديثة للإنذار المبكر لتلافي خطر إنتشار الغازات منها وكذلك للمحافظة على عدم تلـــوث البيئة من جرّائها . وبيان ذلك أن الإسلام يحرم الضرر بالفرد وبالأمة وبالمجتمع مطلقا ، ففـــي الحديث الذي رواه ابن ماجه في السنن (٢٣٤٠) عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((قضى أن لا ضرر ولا ضرار)) ورواه في السنن (٢٣٤٢) عن أبي صـــرمة بلفظ : ((من ضار أضر الله به ومن شاق شق الله عليه)) . ومن أنواع الضرر التي حرمهـــا الإسلام البراز في مجاري المياه وقارعة الطريق وفي الأماكن التي يتقيأ فيها الناس أو يقيلـــون أو يستريحون ، ذلك أن البراز في هذه المواضع هو من أخطر الأشياء على الصحة العامة اذ هـــي المصدر الأول لإنتشار الأمراض الطفيلية الخطيرة كالبلهارسيا ونحوها ، وقد ورد تحريم ذلك في الحديث ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إتقوا الملاعن الثلاث : البراز في المـــوارد ، وقارعة الطريق والظل)) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي وصححه عن معاذ بن جبل ـــ أنظرتخريج الألباني لكتاب الحلال والحرام رقم ١٠) ويفهم من هـــذا الحـــديث أن الإسلام انما يهتم بالصحة العامة ويحافظ على عدم تلوث البيئة بالأمراض الخطيرة الناجمة عـــن البراز ، أو الناجمة عن البول في الماء الراكد ، ففي الحديث : ((لا يبولن أحـــدكم في المـــاء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه)) رواه الشيخان وأبو داود والنسائي عن أبي هريـــرة ـــ أنظر الفتح الكبير بضم الزيادة الى الجامع الصغير ج ٣ ص ٣٥٢) ويقاس على البراز والبول كل ما يؤدى الى تلوث البيئة فيمنع إنشاء المصانع الكيماوية ومصافي البترول ونحوها في داخل المدن والقرى وفي المناطق المجاورة للأسواق أو للأماكن السكنية ، وتجعل في خارج المدن بعيدا عن التجمعات السكنية لحماية السكان والبيئة من تسرب الغازات والاشـــعاعات والأدختـــة

ونحوها ، وتزود المصانع بأجهزة خاصة للإنذار المبكر لتلافي خطر تسرب الغازات والأدخنة منها .

ومن المعالجات الأخرى لأخطار التكنولوجيا الحديثة ، معالجة البطالة عن طريق تقليل الإعتماد على الآلات في كل شيء ، وإلغاء الأجهزة غير الضرورية كالرجل الآلي في المصنع وفي المحلات التجارية الكبرى وفي المكاتب والشركات ، وتصحيح مفهوم الناس عن الحياة عن طريق إلغاء التفكير الرأسمالي الذي يرى الحياة منفعة فقط ، ولا يرى لأي شيء فيها له قيمة إلا على أساس هذه المنفعة ، فهي مقياس القيم والأشياء . وطرح المفهوم الإسلامي عن الحياة الذي يوجب تحقيق القيم كلها : المادية والروحية والخلقية والإنسانية . وكذلك منع تكديس الثروات والأموال دون طائل ، ومنع كنز النقود ، ومنع حصر أداة التبادل بيد فئة قليلة في المجتمع هي فئة الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة والشركات ، وقيام الدولة بإيجاد الأعمال للعاطلين عن العمل وإعطائهم التعويضات عن البطالة في حال عدم وجود أعمال لهم .

إن التكنولوجيا الحديثة تسير تدريجيا في إحلال الآلة محل الإنسان وفي إحلال أجهزة الكمبيوتر محل الأستاذ الجامعي ، فقد سمعنا مرة أن مطابع بعض الصحف البريطانية قد استعاضت عن بعض العاملين فيها على الآلات الرافعة بأجهزة وأيدي آلية الكترونية تدير هذه الآلات الرافعة وتوجهها ، كما سمعنا مرة أن بعض مصانع السيارات في اليابان قد استعاضت عن كثير من الأيدي العاملة بأيدي آلية ميكانيكية ، بل أن محلات (السوبر ماركت) التجارية قد صارت تعتمد على رجال آليين لإرشاد الزبائن وتوجيههم وتزويدهم بالمعلومات الضرورية عن البضائع التي يحتاجونها وأماكن تواجدها . فهذا وأمثاله لا حاجة لاختراعه ولا ضرورة لاحلال الآلة محل الإنسان نظرا لما تسببه من أضرار على الإقتصاد في انتشار البطالة وخلق الأزمات الإقتصادية والتربوية الخطيرة .

هـ حكم تعلم العلوم والصناعات :

إن الإسلام قد حث على طلب العلم والتكنولوجيا وجعل كل علم أو اختراع أوعمل فيه حاجة للجماعة فرض كفاية ، بمعنى أنه إذا لم يوجد في الأمة العدد الكافي الذي يقوم بـه أثمت الأمة كلها ولذا يقول الإمام الغزالي : ((لو كان عند غير المسلمين علم أو إختراع ليس عند المسلمين أحسن منه وأفضل ، فإن المسلمين آثمون محاسبون على تقصيرهم)) أنظر مجلـة منار الإسلام عدد ١ سمبتمبر ١٩٨٣ ص ٣٢ : نظرات في الحضارة الإسـلامية والأوروبيـة لطارق عبد المنعم محمد) ويقول الشيخ سعيد حوّى في العلوم التي يحتاجها المسلمون : (إننا نجد آلاف العلوم على الأقل كلها يعتبر فريضة كفاية على الأمة الإسـلامية) ويتوسـع في مدلول فرض الكفاية فيقول : (وليس فرض الكفاية أن يوجد الرجل الذي يعرفه ، بـل أن توجد المجموعة التي تغطي احتياجات الأمة ، يعني لا يكفي أن يوجد المختص في الـذرة ثم لا تقوم صناعة ذرة حتى يسقط الإثم ، فلا بد أن يوجد المختصون ولا بد أن تقوم الصـناعة ، عندئذ يسقط الإثم عن بقية المسلمين)(انظر كتاب الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ، إصدار منظمة النوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض عام ١٩٧٩ ج ٢ ص٧٤٦) ويذهب الإمام ابن تيمية الى أبعد من ذلك فيقول : (إن هذه الأعمال التي هي فرض على الكفاية متى لم يقم بها غير الإنسان صارت فرض عين عليه ، لا سيما إن كان غيره عاجزا عنها ، فـإن كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أو نساجتهم أو بنائهم صار هذا العمل واجبا يجبرهم وليّ الأمر عليه اذا امتنعوا عنه بعوض المثل ، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل ، ولا يمكّن الناس من ظلمهم بأن يعطوهم دون حقهم)) انظر مجموع الفتاوي لإبن تيميـة ج ٢٨ ص ٨٢) وهذا يعني أن تعلم كل ما تحتاجه الأمة من علـوم وصـناعات ، وحـرف وتكنولوجيا ونحوها ، هو فرض على الكفاية ، وأن هذا الفرض يصير فرض عين على مـن لديهم القدرة على التصنيع والقيام بمتطلبات الأمة من أطباء ومهندسين وفنيين وزراعيين ومن شاكلهم من أصحاب الخبرة والاختصاص .

و- إرتباط التكنولوجيا بوحدة الأمة والدولة :

يجب أن لا يغيب عن البال أن الدول الصناعية الراقية اليوم تحتكر العلوم والتكنولوجيا ولا تسرب منها إلا ما لابد منه لترويج منتجاتها الصناعية ، ولذلك فإنها تتظاهر بالعمل على نقل التكنولوجيا إلى الدول النامية وهي تهدف من وراء ذلك إلى إيجاد المتعلمين الذين يشغلون هذه الآلات والأجهزة ويقومون بإصلاحها وصيانتها ، وإلا فهي غير معنية بالطبع على أن تجعل الدول المتخلفة تستوعب التكنولوجيا إلى حد يمكنها من إقامة الصناعات بحيث تؤمن إحتياجاتها فتتحول من أسواق إستهلاكية لهذه الدول إلى منافس جديد على الأسواق الأخرى . والأهم من ذلك أن تصنيع الدول المتخلفة بحيث تؤمّن احتياجاتها سيمكنها من التحرر من النفوذ الأجنبي وهذا ما لا تريده الدول الصناعية . فإنها حين تزود الدول الأخرى المتخلفة بالأجهزة والمعدات سواء العسكرية منها كالدبابات والطائرات والصواريخ أو غير العسكرية كالمولدات والمفاعلات وغيرها ، فإنما تطمع لأن يكون لها نفوذ في هذه الدول شاءت أم أبت .

من ذلك يتبين الزيف في ما يسمى بنقل التكنولوجيا ، إذ أن طريق القوة هو الإعتماد على النفس في إستخدام العلوم والتكنولوجيا الحديثة في حقل التصنيع الثقيل لإنتاج الأسحلة والمعدات والأجهزة اللازمة لتحقيق المستوى التكنولوجي المطلوب ، ولتطوير الإنجازات التكنولوجية ومضاهاة الغرب بها ، وهذا لن يتم إلا على أساس تحقيق الوحدة بين المسلمين في كيان واحد هو دولة الخلافة ، حتى يتوفر في هذا الكيان القوى البشرية اللازمة للتصنيع والمتوفرة في بلدان كمصر وتركيا وماليزيا وأندونيسيا ، والموارد الأولية المتوفرة في بلدان أخرى ، وإلا فإننا إذا ما أبقينا على هذه التجزئة لبلاد الإسلام ، وظللنا على هذه التبعية للغرب ، واقتصرنا كما يراد لنا على الزراعة وعلى الصناعات الإستهلاكية الخفيفة ، فإنه لا أمل للعالم الإسلامي في تحقيق الإنجازات التكنولوجية ودفع عجلة الإقتصاد إلى الأمام لتحقيق الإكتفاء الذاتي في العلم والتكنولوجيا .

(٢) كيفية تحقيق التقدم الصناعي والتكنولوجي

مما لا شك فيه أن التقدم التكنولوجي والصناعي قد صار أمرا حيويا بالنسبة لكيان أي أمة في هذا العصر ، فقوة الأمم العسكرية والاقتصادية تعتمد إلى حد كبير على تقدمها التكنولوجي ، كما أن الاستقلال السياسي للأمم رهن بمقدرتها على تحقيق الاكتفاء الذاتي في التكنولوجيا وبشكل خاص على إقامة الصناعات الحديثة .

غير أن سوء التوزيع التكنولوجي في العالم من جراء وجود فكرة الاستعمار فيه ، قد جعل التكنولوجيا تتركز في عدد قليل من الدول ، والهوة بين هذه الدول والغالبية الساحقة من الدول الأخرى كبيرة الى درجة تبعث على القلق ، لأن الدول الصناعية تحتكر أسرارها التكنولوجية ، وكل دولة منها ولاسيما الدولتين العظمتين : أمريكا وروسيا ، تحرص على تتبع أسرار التكنولوجيا عند الاخرى بمختلف الوسائل : بالتجسس وشراء الذمم وبسرقة الخرائط والتصاميم واستيراد المنتجات الصناعية وماشاكلها .

وإذا نظرنا الى دول العالم اليوم فإننا نرى أنها تتفاوت بين دول صناعية كالولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا والمانيا واليابان ، ودول غير صناعية وهي تشمل دول ما يسمى بالعالم الثالث أو الدول النامية وهي تشكل غالبية العالم ، وهناك دول فيها قواعد صناعية أجنبية ولكنها ليست دولا صناعية بالمعنى الحقيقي وإنما هي مجرد أدوات مسخرة في الصراع بين الدول الصناعية للتنافس فيما بينها على أسواق المنتجات الصناعية . وقد وقع اختيار الشركات المتعددة الجنسية على دول كتايوان وهونغ كونغ وكوريا والبرازيل لتوفر الأيدي العاملة الرخيصة فيها فأقيمت في هذه الدول صناعات السيارات والمنسوجات وصناعة السفن ، وأخذت هذه القواعد الصناعية تقلق الأوروبيين واليابانيين حيث تغرق الأسواق

بالمنتجات بأسعار يصعب منافستها . ولاشك أن هذا العمل يخدم مصلحة أميركا التي تهدف إلى اعادة تحجيم كل من اليابان وألمانيا الغربية .

والذي يدل على أن هذه القواعد الصناعية الأجنبية ليست ناتجة عن تطور حضاري في البلدان التي تؤديها ، هو أن هذه البلدان لازالت متأخرة من الناحية الحضـــارية ، والتقـــدم الصناعي لا يفضل عن التقدم الحضاري بل هو مؤشر من مؤشراته ولذا فإن الدول الصـــناعية حين تزوّد الدول النامية المتخلفة بالمعدات والاجهزة الصناعية لتمكينها من التصنيع ، فهي أنما تهدف أن يكون لها نفوذ في هذه الدول ، وتهدف استخدام الصناعات فيها في حرب التسلط والسيطرة والتنافس فيما بينها على غزو الأسواق العالمية ، وهي حيث تتحدث من استخدام المنتجات الصناعية الحديثة ، ولذا فإنها ليست معنية بالطبع بأن تجعل الدول المتخلفة تستوعب التكنولوجيا الى حد يمكنها من إقامة الصناعات بحيث تؤمن احتياجاتها فتتحول من اســـواق استهلاكية لهذه الدول الى منافس جديد على الاسواق الاخرى .

من ذلك يتبين زيف ما يسمى بنقل التكنولوجيا اذ أن طريق القوة هو اقامة الصناعات الثقيلة التي تمكن البلاد من تحقيق الاكتفاء الذاتي والتخلص من النفوذ الأجنبي وصرف النظـــر عن الاكتفاء بالصناعات الاستهلاكية أو المشاريع التي يقصد منها ابقاء البلاد زراعية وصرفها عن التصنيع الحقيقي . ولاشك أن قيام أي دولة بالتصنيع إنما هو بحد ذاته ثورة على النفـــوذ الأجنبي وتحد له ، وهو يخالف كل نظريات التنمية التي يعدها الغرب للدول المتخلفة والـــتي يسايره فيها المثقفون الذين وقعوا تحت تأثير سحره ، وهذه النظريات تقول بالتدرج وتهدف الى ابقاء الدول المتخلفة اسواقا للدول الصناعية موردة للمواد الأولية ، لا بل أن دولة كأميركا تستخدم المؤسسات التي لها طابع دولي كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي والمؤسســـات التابعة للأمم المتحدة كاليونيسكو و اليونيسف ووكالة التنمية وغيرها كأدوات لبسط السيطرة الاستعمارية على دول العالم الثالث ، كما أنها تعمل على اهدار طاقة هذه الدول ومواردها في صناعات استهلاكية لا تحقق لها النهضة الصناعية المبتغاة ، وتعمل على ابعاد الدول المتخلفـــة عن الطريق الصحيح للتصنيع .

ان التصنيع الحقيقي قد صار في هذا العصر أمرا سياسيا ، لأن معناه الثورة على النفـــوذ الاجنبي بكافة اساليبه ووسائله ، وهذا يقتضي عدم الاعتماد مطلقا على الدول الصـــناعية في القيام بالتصنيع ، ويفرض توجيه الطاقات والامكانيات والموارد في البلاد الاسلامية قاطبة نحو التصنيع وعدم العناية بالزراعة إلا بمقدار ما يحقق زيادة الانتاج في الثروة الزراعية الموجـــودة بحيث تؤمن كافة احتياجات الأمة للمواد الزراعية الضرورية كالمواد الغذائية وماشاكلها مـــن المواد التي لا غنى عنها لأية أمة من الأمم .

وبما أن البلاد الإسلامية لازالت بلادا متخلفة ، ولا زالت تقوم على الزراعة ولاتكـــاد توجد فيها صناعة ، ولا نعنى فيها بذلك الصناعات الاســـتهلاكية الخفيفـــة ، وإنمـــا نعـــني الصناعات التي تحقق التقدم المادي ، وتحقق الأكتفاء الذاتي للبلاد الإسلامية قاطبة . لذا فـــإن الطريق الوحيد للانتقال بالبلاد الاسلامية من حالة الاعتماد على الزراعة الى الاعتماد علـــى التصنيع وجعله رأس الحربة في سياسة زيادة الثروة ، هذا الطريق هو البدء باقامة الصـــناعات الثقيلة وعدم الاعتماد على الصناعات التركيبية مطلقا ، وتشمل الصناعات الثقيلة ما يلي :

١ـــ صناعة الحديد والصلب .

٢ـــ صناعة المحركات وتشمل محركات الطائرات والســـفن والـــدبابات والجـــرارات والسيارات والصورايخ .

٣ـــ صناعة هياكل الطائرات والسفن والعربات .

٤ـــ الصناعات البتروكيماوية .

٥ـــ الصناعات الالكترونية .

٦ـــ الصناعات النووية بما في ذلك الأسلحة .

٧ـــ صناعة الفضاء .

ويسار في ذلك على النحو الآتي :

١ــ أخذ الإسلام أخذا فكريا عقائديا ، لأن التحرر من النفوذ الأجنبي لا يمكن أن يقام به على أساس فكري عقائدي تتبناه قيادة سياسية واعية قادرة على كسب ثقة جمهور الناس بالفكر الذي تريد حتى تستطيع أن توجه طاقتهم لتحقيق الأهداف الصعبة كالتصنيع . وهذا الفكر من البداهة أن يقال أنه ليس الفكر الذي يقوم عليه الغرب ، وبالطبع ليس هو الاشتراكية ، إذ كيف يتأتى التحرر من نفوذ الروس والأمريكان والغرب قاطبة إذا كنا نقوم على نفس الأفكار التي قاموا عليها ؟ إننا لا نريد أن نقول أن أوروبا حين حصلت فيها الثورة الصناعية ، إنما حصلت حين اعتنقت الأفكار الرأسمالية وحين وجدت فيها صناعة الآلات وبالتالي الصناعات الثقيلة . ولا نريد أن نقول أن أمريكا وقد كانت مستعمرة لعدة دول إنما تقدمت ماديا حين حصلت فهيا النهضة الفكرية واعتنقت أفكار الديمقراطية والحريات وأفكار النظام الاقتصادي الرأسمالي ، وحينئذ حصلت فيها الثورة الصناعية بصناعة الآلات . ولا نريد أن نقول أن روسيا لم تكمل ثورتها الشيوعية ضد القيصرية إلا بعد أن اعتنقت الأفكار الاشتراكية والشيوعية ، وإلا بعد أن حصلت فيها الثورة الصناعية بصناعة الآلات . لا نريد أن نقول هذا وهو أمثلة محسوسة وبراهين قاطعة ومسكتة ، وإنما نريد أن نقول أن الواقع الذي تعيشه البلاد الإسلامية يحتم عليها القيام بالثورة الصناعية في الحال ، وأن التذمر من طريقة العيش الراسمالية والاشتراكية والشيوعية قد بلغ حدا يقرب من حد الإنفجار ، فهم اليوم في شعور بضرورة فصلهم عن الغرب والشرق ، وفي شعور بضرورة تغيير طريقة عيشهم لتتجه نحو الإسلام باعتباره وحده الذي يحررها من نفوذ الغرب والشرق ، ويجعل بلادها بلادا صناعية تعتد مركزا مرموقا بين غيرها من الأمم ، بل تكون في مركز الدولة الأولى في العالم .

٢ــ لا بد من التفكير العاجل في زيادة الإنتاج الزراعي فيما هو مطلوب فقط في الأسواق العالمية للحصول على العملة الصعبة من أجل الثورة الصناعية . وذلك لأن الإنتاج الصناعي يكاد يكون معدوما بل هو معدوم ، فلا يوجد عندنا إنتاج صناعي للتصدير إلى

الخارج ، فإذا لم نصدر إنتاجا زراعيا لا توجد لدينا ثروة للتصدير لأن ثروتنا في جملتها ثروة زراعية ، فإذا لم نصدر منها للخارج يصعب علينا الحصول على عملة صعبة وهذا يؤثر على عملنا في القيام بالثورة الصناعية ويؤثر كذلك على عملتنا ما دمامت نقودا ورقية وثيقة . لأننا حين لا نصدر بضاعة للدول الأخرى لا نستطيع الحصول على عملة تلك الدول ، فنضطر لبيع عملتنا في الأسواق العالمية للحصول على المواد اللازمة للثورة الصناعية . وزيادة الإنتاج التي نحتاجها إنما تكون في المواد التالية :

أولا : زيادة الإنتاج في حقل المواد الغذائية ، سواء في الثروة الزراعية أو في الثروة الحيوانية ، وذلك لتحقيق الإكتفاء الذاتي في المواد الغذائية ، ولتوفير العملة الصعبة للثورة الصناعية .

ثانيا : زيادة الإنتاج في المواد اللازمة للكساء كالقطن والصوف القنّب والحرير ، فإن هذا ضروري جدا ، لأنه من الحاجات الأساسية التي لا يمكن الأستغناء عنها والتي لا بد من توفيرها في البلاد ، حتى لا نشتريها من الخارج فنضطر لدفع ثمنها من العملة الصعبة ، وحتى نبعد الناس عن خطر العرى والحاجة الى اللباس .

ثالثا : زيادة الإنتاج في المواد التي لها أسواق خارج البلاد كالحبوب والقطن والمطاط والزيوت وما شاكلها . ويبدأ بزيادة الإنتاج في هذا الحقل فورا وفي الحال لشدة الحاجة الآنية اليه ، للحصول على أكبر كمية من العملة الصعبة لشراء ما يلزم لتحقيق الثورة الصناعية .

٣ــ وقف القيام بالمشاريع العمرانية لامتعلقة بالزراعة ، والاقتصار على ما هو موجود منها فقط . ولا يصح القيام بالمشاريع العمرانية من مثل بناء السدود والأقنية والآبار الارتوازية في الوقت الحاضر ، إلا بما هو ضرووي وما لا يمكن الإستغناء عنه ، والا اصلاح وترميم ما هو موجود . وذلك لأنه ليس المراد القيام بثورة زراعية في البلاد ، بل المراد القيام بثورة صناعية والعناية بالثروة الزراعية عناية كافية لزيادة الإنتاج . لأن الهدف الاقتصادي هو إيجاد التقدم المادي ، وهو لا يكون إلا بالثورة الصناعية ، بل لم يحصل في العالم تقدم في أي بلد إلا بالثورة الصناعية . وأما القيام بالثورة الزراعية والثورة الصناعية معا على أن تكون الصناعة

هي رأس الحربة في التقدم ، فإن هذا يحصل حين يكون هناك تقارب بين الثـــروة الزراعيـــة والثروة الصناعية أما في مثل البلاد الأسلامية فإنها برمّتها بلاد متأخرة ماديا ، وهي تقوم على الزراعة ولا تكاد توجد فيها صناعة ، والصناعات التركيبية والصناعات الاستهلاكية القائمة فيها لا تجعل البلاد صناعية ، وإنما الذي يحقق التقدم المادي ويجعل البلاد الاســـلامية بـــلادا صناعية هو البدء بالصناعات الثقيلة ، ولهذا يجب أن يوجه الجهد الى القيام بالصناعات الثقيلة ، وأن لا يقام بالصناعات التركيبية مطلقا ، وأن لا يكتفى بالصناعات الإستهلاكية لأنهـــا لا تحقق الثورة الصناعية في البلاد . أيضا يجب أن يغض النظر عن القيام بـــالثورة الزراعيـــة لأن القيام بها إلى جانب الثورة الصناعية إنما يكون على حساب الثورة الصـــناعية ويضـــعفها ، فيكون القيام بها ضررا على تقدم البلاد بل هو يحد من التقدم الصناعي ويعوقه . ولذلك كان من خطط الدول الغربية صرف البلاد الإسلامية للزراعة وتشجيعها عليها بتمويل مشـــاريع الري وما شاكلها لإعاقتها عن التقدم وحتى تبقى دولا ضعيفة هكذا للأبد .

٤ــ لا توجد طريق آخر لجعل البلاد الإسلامية بلادا صناعية إلا بالبدء بصناعة الآلات أولا وقبل كل شيء ، ثم عدم القيام بإيجاد أي مصنع إلا من الآلات المصـــنوعة في الـــبلاد . وهذا لا يحتاج إلى وقت طويل كما يروج الغرب ومن وراءه من المضبوعين بثقافته ، وإنمـــا يحتاج تحقيقه إلى بضع سنوات لإيجاد مصانع الآلات ، والى عقـــدين مـــن الـــزمن لإقامـــة الصناعات الثقيلة ، أما القول بأن صناعة الآلات يحتاج إلى وقت طويل فلابد أن نبدأ بصناعة الحاجات الأساسية ، فهو قول هراء ، وهو دسيسة يراد منها تعويق صناعة الآلات وصـــرف البلاد إلى الصناعات الإستهالكية حتى تظل سوقا للغرب . على أن الواقع يكذب هذا القول ، فإن روسيا القيصرية حين خرجت من الحرب العالمية الآولي كانت عالة على أوروبـــا ، ولم تكن قد نشأت لديها صناعة الآلات ، وفي مدة قصيرة وجدت صناعة الآلات في روسيا وها هي اليوم تزاحم أمريكا على الصناعات الثقيلة وعلى اقتعاد مركز الدولـــة الأولى وتســـتعد لخوض حرب عالمية ثالثة ضد أمريكا وأوروبا في سبيل تحقيق ذلك . أما القول بأن صـــناعة الآلات وبالتالي الصناعات الثقيلة تحتاج إلى إيجاد وسط صناعي من مهندسين وعمال فنـــيين

وما شاكل ذلك فهو قول مغلوط ، وتضليل مقصود يراد منه المغالطة والتدليس للحيلولة بيننا وبين تحقيق التقدم المادي في الحياة . لأننا يمكن أن نستعين بأبناء البلاد الإسلامية العاملين في أوروبا وأمريكا في مصانع الحديد والصلب ، ومصانع المحركات ، والأسلحة وما شاكلها ، فإنهم يعدون بمئات الألوف ويمكن الإنتفاع بخبراتهم ، وفي نفس الوقت يمكن إرسال المئات بل الآلاف من شبابنا لتعلم صناعة الهندسة الثقيلة ، وصناعات الفولاذ ، وهذا سهل ميسور ، وفي متناول اليد والقول بأننا يجب أن نبدأ بالصناعات الضرورية لنا كصناعة المنسوجات وصناعة الورق وصناعة خام الحرير وما شاكل ذلك ، هو قول باطل يقصد منه التخدير والتضليل عن الطريق الصحيح . ولهذا لا يصح أن يلتفت إلى أي شيء من الصناعات الإستهلاكية وأن يحصر الإتجاه نحو إيجاد صناعة الآلات أولا ومن ثم سائر الصناعات الثقيلة . ولا يقام بأي شيء سوى الضروريات وسوى ما لابد منه لإيجاد صناعات الآلات .

٥ــ الصناعات الإستهلاكية تبقى كما هي لأنها لا تزال في بداية النشوء، ولذلك لا نسير فيها شوطا أكبر ولا ننشيء غيرها ، بل يجب التوقف عند حد ما هو موجود وتغيير الطريق تغييرا فجائيا وحصره بالإتجاه لصناعة الآلات وللبدء بالتصنيع الثقيل . ولكن ليس معنى تغيير الطريق هو قفل باب الاستيراد ، فإن هذا لا يجوز حسب سياسة الأقتصاد في الإسلام ، لأن لرعاية الدولة أن يشتروا ما يريدون من داخل البلاد وخارجها ، بل معنى تغيير الطريق هو إيجاد مصانع الآلات وجعلها كأرقى مصانع الآلات ، وحينئذ يحصل الشراء منها ولا يحصل الإستيراد طبيعيا بشكل تجاري ، من غير حاجة لأن تمنعه الدولة .

٦ــ إن ما عندنا من مصانع استخراج النفط ومصانع تصفيته ومصانع استخراج غيره من المعادن ومصانع استخراج البوتاس وما شاكل ذلك ، يقتصر عليها دون التوسيع فيها ودون إنشاء جديد لمصانع إلى أن نقوم نحن بصناعة الآلات . فلا نشتري آلات جديدة للإستخراج والتنقيب والتكرير والتصفية بل ننتظر إلى أن نصنع نحن الآلات ، وحينئذ نقوم بإستخراج المعادن ونقوم بسائر الصناعات الثقيلة بالآلات التي صنعناها نحن . وأما ما نحتاجه

من معادن كالفحم الحجري والنفط والحديد وماشاكلها في حال عدم كفاية مالدينا منـــها ، فإننا نشتريها من الغير إلى أن نوجد مصانع الآلات وحينئذ ننشئ المزيد من مصانع استخراج النفط والحديد وماليها من سائر المعادن .

٧ــ يجب الإعتماد على النفس مهما كانت الصعاب أمام التصنيع . ورغم إننا لا يمكن أن نستغني عن المعرفة والأنجازات العلمية الأجنبية إلا أنه يجب إقامة أسوار عالية لمنع النفـــوذ الأجنبي من إيجاد طريقة الي عملية التصنيع التي نريد ، وذلك يستلزم فيما يســـتلزمه إبعـــاد الشركات الأجنبية والأجانب عامة بما فيهم الخبراء ، لأن ذلك من وسائل تســـريب النفـــوذ الأجنبي إلى البلاد . فإقامة الصناعات يتم عن طريق أبناء البلاد فقط . وقد يتـــهيأ للـــبعض استحالة القيام بهذه المهمة إذا ما اعتمدنا مبدأ الإعتماد على النفس ، وهذا ما يروّج له الغرب والمضبوعين بثقافته لكننا نقول أن ذلك ممكن ، فقط قامت روسيا في مطلع هذا القرن بتحويل بلادها من بلاد زراعية متخلفة ألى بلاد صناعية تقف في مقدمة الدول الصناعية الراقية ورغم أننا لا نؤمن بالنظام السياسي في روسيا إلا أنه استطاع أن يحقق التصنيع على الشكل الـــذي ذكرناه من الإعتماد على النفس ، وهذا هو محل استشهادنا بتجربته وقد اشتهر عن لينين قوله حين طلب منه تحسين الأنتاج الزراعي بشراء آلات حراثة (تراكتورات) : لـــن نســـتعمل التراكتورات حتى ننتجها نحن وحينئذ نستعملها . وقد كان ماو تسي تونغ في الصين يتبـــع نفس الطريق الذي اتبعه لينين من الأعتماد على النفس واغلاق أبواب الصـــين أمـــا النفـــوذ الأجنبي ، ورغم أن الصين على عهد ماو حققت بعض النجاح في هـــذا المضـــمار إلا أنهـــا اخفقت في تحقيق التصنيع وهذا الفشل يمكن أرجاعه إلى أن الشيوعية قد فقدت زخمها وظهر بطلانها ومناقضتها لفطرة الإنسان فلم تصبح عقيدة جمهور الناس في الصين فعجزت القيـــادة عن تحريك الجماهير نحو أهدافها .

٨ــ تقف في وجه تحقيق التصنيع أمام أي بلد يريد التقدم بعض المخاطر والمصـــاعب منها :

أولا : أن عملية التصنيع بإقامة الصناعات الثقيلة أمر يحتاج تحقيقه إلى سنوات طويلة قد تصل الى عقدين من الزمن على أحسن الظروف ، وفي هذه الفترة الانتقالية ستكون الدولة التي تسير في هذا الطريق عرضة للمؤامرات السياسية من الداخل والخارج ولا سيما وأنها ستبقى أضعف من الدول المتقدمة إلى أن تحقق التصنيع .

ثانيا : إن المقصود من عملية التصنيع هو اللحوق بصاف الدول الصناعية المتقدمة وهذه الدول ليست في حالة جمود بل هي في حالة تقدم مستمر في مستواها التكنولوجي ، فمن يريد اللحاق بها عليه أن يطارد هدفا متحركا والهوة بيننا وبينهم آخذة في التوسع فسرعة تطور الإنجازات التكنولوجية مذهلة .

ثالثا : إن سيطرة الدول المتقدمة على نظام النقد الدولي وعلى الإقتصاد العالمي يحتم على الدولة الراغبة في التصنيع أن تقيم جزيرة نقدية واقتصادية مغلقة ، وهذا لا يعني عدم الاشتراك في التجارة الدولية بل يعنى العمل على أساس الوصول الى الأكتفاء الذاتي لتقليل اعتماد الدولة على الخارج وخاصة في الحاجات الأساسية ، وأما بالنسبة للتمويل فإنه يجب الحذر كل الحذر من المساعدات والقروض الأجنبية سواء من المؤسسات التي تتستر تحت اسم دولي أو تلك التي تعود الى الدول الكبرى أو البنوك الخاصة . وهذه القروض والمساعدات تعطى عادة للسيطرة على الدول المدينة وافقارها . وعليه فإن على الدولة الراغبة في التصنيع مهمة شاقة في شق طريقها بالاعتماد على النفس بالتمويل الذاتي وعدم الدخول في شباك الدول الاستعمارية التي تسيطر على نظام النقد الدولي .

رابعا : إن البلد الذي يبدأ في التصنيع من الصفر سوف يعاني من مشكلة قلة الخبرات والأيدي العاملة المدربة أو بتعبير آخر مشكلة قوى بشرية ، وفي هذا المجال فإن للخبرة أهميتها .

ورغم أن هذه المشكلة لا يستهان بها وتستحق الدراسة والتخطيط لمواجهتها إلا أنها أقل شأنا من المشاكل السابقة لا سيما وأن أبناء الدول النامية يشكلون قسما غير ضئيل من القوى العاملة في الدول الأوروبية وأمريكا ويمكن الاستعانة بهم .

٩ــ إن التصنيع فوق كونه ضرورة من ضرورات التحرر من النفوذ الأجنبي ، وأن ذلك لا يمكن أن يتم في العالم الإسلامي إلا على أساس الإسلام كقيادة فكرية ، لا كفكرة روحية فحسب ، فإن التصنيع إيضا يستلزم الوحدة بين المسلمين في كيان واحد حتى يتوفر في هـــذا الكيان القوى البشرية اللازمة للتصنيع والمتوفرة في بلدان كمصـــر وتركيـــا وأندونيســـيا ، بلاإضافة الى الموارد الأولية والمتوفرة في بلدان أخرى في آسيا وأفريقيا . وهذا كله لن يتأتى الا ببناء دولة واحدة لكافة الدول التي يتشكل منها العالم الإسلامي ، وهذه الدولة يجب أن تكون سياستها الإقتصادية وكل شيء فيها مبنية على أساس الإسلام ، فإنه بغير الإسلام لا يمكـــن النهوض بالعالم الإسلامي وتحقيق التقدم التكنولوجي والصناعي فيه والتحرر من التبعية للغرب . غير أن هذا يتطلب من الدول رؤية سياسية نافذة لتصور المشاكل الضخمة الـــتي يقتضـــي التغلب عليها والتي من ضمنها مشكلة التصنيع التي سبق أن بينا أنها مشكلة سياسية أكثر من كونها مسألة تكنولوجيا ومعرفة . ولذلك كان لابد من التفكير الأصيل الراقي الذي يمكن من الاجتهاد لحل المشاكل الحديثة على أساس إسلامي صاف يعود الى الكتاب والسنة .

النهضة على الصعيد التربوي والتعليمي

التخطيط لاعداد مناهج اسلامية

منذ ان احتلت أوروبا بلدان العالم الاسلامي وقاسمتها فيما بينها ، وجهت عنايتها بشكل خاص الى المدارس والمعاهد الثقافية، فقامت بالاشراف عليها اشرافا مباشرا ، ورسمت لها سياسة تعليم تمكنها من تركيز الاحتلال ، ومن اقصاء الاسلام عن حياة المسلمين الى الابد.

وعلى اساس هذه السياسة اقام الكفار المستعمرون جميع شوؤنهم ، وركزوا دعائم دولهم التي اغتصبوها بالقوة من ايدي المسلمين. وقد قامت سياسة التعليم ، والمناهج التربوية التي وضعوها على أساسين اثنين:

أحدهما: فصل الدين عن الحياة ، وينتج عنها طبيعيا فصل الدين عن الدولة ، وهذا يحتم على من يدرس هذه المناهج ممن يتولى امور الحكم و الادارة والقضاء والتعليم والجيش وسائر شوؤن الحياة ، ان يصبغوا الحياة بالصبغة العلمانية ، وان يحاربوا قيام دولة اسلامية ، بل يحاربوا حتى تطبيق الشريعة الاسلامية في السياسة الداخلية او الخارجية.

ثانيهما: جعل شخصية الكافر المستعمر انجليزيا كان ام برتغاليا ام فرنسيا ام هولنديا الخ... المصدر الرئيسي لما تحشى به العقول الناشئة من معارف و معلومات. وذلك يوجب احترام هذا الكافر المستعمر وتعظيمه ، ومحاولة محاكاته وتقليده ، ولو كان كافرا مستعمرا ، ويوجب احتقار المسلم والابتعاد عنه والاشمئزاز منه ، والاستنكاف عن الاخذ منه.

و لم يكتف الاستعمار بمناهج المدارس التي يشرف عليها ، او تشرف عليها الحكومات التي اقامه مقامه. بل جعل الى جانبها المدارس التبشيرية (النصرانية) التي تقوم على اساس استعمارى محض ، والمعاهد الثقافية التي تأخذ على عاتقها التوجيه السياسي الخاطئ ،والتوجيه

الثقافي المغلوط. وبذلك صار الجو الفكري في المدارس على اختلافها ، والمعاهد الثقافية على تنوعها ، يثقف الامة ثقافة تبعدها عن التفكير في الاسلام وفي تاريخ المسلمين وحضارتهم ، و يحول بينهم وبين التفكير في العيش من اجل الاسلام ، وعلى اساس حمل الرسالة الاسلامية الى جميع شعوب الدنيا قاطبة ، عن طريق الدولة الاسلامية.

وان استمرار تطبيق البرامج التعليمية على الاساس الذي وضعه الكافر المستعمر ، وحسب الطريقة التي ارادها ، هو الذي لا يزال يجعل جمهرة الشباب من المتخرجين وممن لا يزالون يتعلمون يسيرون باتجاه يناقض الاسلام. ومن البديهي اننا لا نعني ببرامج التعليم البرامج العلمية والصناعية والتقنية ، فان هذه عالمية لا تختص بها امة من الامم بل هي عالمية لجميع الناس. وانما نعني البرامج الثقافية التي تؤثر علىجهة النظر في الحياة ، فهذه هي التي أقصت الاسلام عن الحياة ، وجعلت برامج التعليم تقف صعوبة عن استئناف الحياة الاسلامية حتى الان. وهذه المعارف تشمل التاريخ والادب والفلسفة والتشريع ، وذلك لأن ، التاريخ هو التفسير الواقعي للحياة ، والادب هو التصوير الشعوري لها ، والفلسفة هي الفكر الاصلي الذي تبني عليه وجهة النظر في الحياة ، و التشريع هو المعالجات العملية لمشاكل الحياة والاداة التي يقوم عليها تنظيم علاقات الافراد والجماعات. وهذه كلها قد كون بها الكافر المستعمر عقلية أبناء المسلمين ، تكوينًا خاصاً جعل بعضهم لا يشعر ضرورة وجود الاسلام في حياته وحياة أمته ، وجعل البعض منهم أيضاً يحمل عداء للاسلام منكراً عليه صلاحيته للعصر الحديث ، ولمعالجة مشاكل الحياة. كما وجد لدى البعض إكبار عام لبعض المعارف الثقافية واعتبارها علوماً عالمية ، وذلك كعلم الاجتماع ، وعلم النفس وعلوم التربية. وقد كان من جرّاء تعلّمها في مدارسنا وجامعاتنا ، أن صار شبابنا يستشهدون بما قاله علماء النفس ، وعلماء الاجتماع ، وعلماء التربية ، أكثر مما يستشهدون بالقران والحديث ، لأنها في جملتها تؤدي الى فصل الدين عن الحياة ، وتؤدي الى محاربة عودة الاسلام ليحكم الحياة. حتى كان الحكم القائم في العالم الاسلامي –كما نشاهده– هو أن يستبدل بموظفين مستعمرين موظفين من المسلمين ، يكون عملهم حراسة ما أقام المستعمر من حدود وقوانين وثقافة وسياسة

وأنظمة وحضارة وغير ذلك ، والدفاع عنها كدفاعه هو أو اشدّ ، حتى أنهم صاروا يعتبرون العمل للاسلام وللدولة الاسلامية جرماً فظيعاً تعاقب عليه معظم القوانين في البلاد الاسلامية. وأمام هذا الواقع ، فانه لا بد من إعادة النظر في جميع البرامج التعليمية ، والمناهج الدراسية في كافة البلاد الاسلامية ، وأن تنقّى من الشوائب الدخيلة عليها ، وأن ينفى منها كل ما ليس من الاسلام ، أو ما لا يتفق مع العقيدة الاسلامية ، وأن توضع لها الكتب والمواد التعليمية بالشكل الذي يحقق للأمة نهضتها على الصعيد التعليمي والتربوي ، كي تعود أمة اسلامية قادرة على الاجتهاد والحكم ، وسياسة الامم والشعوب ، وقادرة في نفس الوقت على الاختراع واكتشاف كل جديد ، وتحقيق التقدم الصناعي والتكنولوجي ، كما كانت ماضياً أيام حكم الاسلام وعظمة دولة الاسلام ، وكما يجب أن تكون في المستقبل حين تعود لها دولة الاسلام. و أيضاً لا بد من العناية بأساليب التعليم ، أو طرق التدريس. لأنها هي الكيفية التي تؤدى بها العلوم والمعارف. فقيمة أي علم لا تكون بالمادة العلمية التي يعطيها المعلم فحسب ، بل بالكيفية المعيّنة التي يعطيها أى بحسن العرض للأفكار والاراء ، بالشكل الفكري المؤثر في المشاعر ، والمحرك للطاقات والمقدرات ، والدافع في العمل. ومما ينبغي ملاحظته أن أسلوب التعليم يختلف من علم إلى علم ، ولا يلتزم صفة واحدة ، فأسلوب تعليم اللغة غير أسلوب تعليم الفقه ، وأسلوب تعليم الكيمياء غير أسلوب تعليم أصول الدين ومقارنة الأديان وهكذا. فأسلوب التعليم يتنوّع ولا يأخذ كيفية معيّنة ثابتة. ولتحقيق النهضة التعليمية المرجوّة ، فلابد من وضع برامج تعليمية ، ومقرّرات ومناهج تكون جاهزة للتطبيق عند أول فرصة تتاح للأمة ، وإن كنا لا نظن ان يتحقق ذلك بشكل انقلابي شامل الا في ظل دولة الخلافة في المستقبل. وفي هذا الكتاب سنقتصر على بيان طرق التدريس التي يجب على المعلم أو المدرس ملاحظتها ، وسنختار بعض المواد كنماذج فقط دون بحث سائر المواد.

مادة أصول الدين ومقارنة الأديان والمذاهب:

١-تجريد أبحاث أصول الدين عن علم الكلام أو علم المنطق اليوناني الذي حوّل العقيدة الى جدل عقيم ، والعمل على اعادة العقيدة لدى المسلمين صافية الجوهر ، نقية من كل شائبة ، بسيطة كل البساطة ، بعيدة عن تعقيد المتكلمين وجدل الفلاسفة ، وإرجاع العقيـــدة إلى القران القطعي الدلالة ، وإلى المتواتر من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢-إثبات العقيدة بالدليل العقلي والنقلي فقط ، لا الدليل المنطقي. فالايمان لدى المسلم لا بد أن يستند إلى العقل أو إلى دليل ثبت أصله عن طريق العقل وهو الدليل النقلي. ومـــا لم يثبت عن هاتين الطريقين ، العقل ،ونص القران والسنة القطيعة ، يحرم على المسلم أن يعتقده لأن العقائد لا تؤخذ الا عن يقين.

٣- الإنتقال في إقامة البرهان العقلي من المحسوس الى المعقول ، فيبـــدأ المعلـــم دائمـــا بالأمثلة الواقعية، ويلفت النظر الى المشاهد المحسوس فيما حولهم ليتوصل الى إفهامهم الأمـــور المعقولة الناتجة عن تلك المشاهدات.

٤- الانتقال في التعاريف والقواعد الكلية من الجزئيات الى الكليات ، ويسلك المدرس في ذلك اسلوب الطريقة الاستقرائية فيبدأ ما استطاع بالأمثلة ثم ينتقل منـــها الى التعـــاريف والقواعد.

٥- عرض الأديان والعقائد والمذاهب الفكرية بأسلوب النقد لا بالأسلوب العلمي الذي يعتمد على شرح وتفصيل واقع هذه الأديان والعقائد والمذاهب. أى يجب أن يكون العـــرض والتحليل بأسلوب فكري يكون من القوة بحيث يزعزع هذه العقائد والأديـــان ونحوهـــا ،

ويعريها ليكشف عيوبها ، وليظهر خطأها وفسادها وخطرها. وبإمكانه أن يستشهد بـــأقوال أصحابها الذين تركوها وتخلوا عنها لما تبين لهم فسادها ومناقضتها للعقل ولفطرة الإنسان.

٦- تربية الطلبة على مخالفة أصحاب الأديان الأخرى والعقائد والمـــذاهب الباطلـــة في طريق عيشهم (من مثل تقليدهم في كشف العورات على الشواطئ وأحـــواض الســـباحة ، وتقليدهم في الأزياء والحفلات والسهرات المختلطة ، وكتقليدهم في التقشف وتعذيب الجسد الخ). ويجب تدريبهم كذلك على ترك متابعتهم في أفكارها ومعتقداتهم في كل شيء ، بما في ذلك الإبتعاد عن إستعمال الألفاظ والمصطلحات التي أصبحت مميزا لهم والتي تتناقض في نفس الوقت مع إستعمالات وإصطلاحات الإسلام ، وذلك من مثل: (العشق الإلهي ، الديمقراطية ، الفناء في ذات الله ، وحدة الوجود ، الحريات ، الاشتراكية ، العدالة الإجتماعية ، القومية ، الوطنية ، المحافظة على الثقافة والتراث القومي الخ).

٧- تجريد أبحاث العقيدة الاسلامية عن منهاج الغرب الفكرية والفلسفة ، لكونها تقتصـــر على الايمان بالماديات والمحسوسات فقط. والتركيز على مخالفة الغرب في طريقة التفكير والبحث وطريقة إقامة البراهين. ذلك ان نظم التعليم المستوردة والمناهج والعلوم المأخوذة عن الغرب قـــد أدت الى سريان الإلحاد والشك الى نفوس المسلمين ، وأوجدت فوضى فكرية هائلة واضـــطراب وتناقض في الأفكار والآراء ، وشك وإرتياب في الدين واستخفاف بفرائضه وحدوده ، وأدت الى إعلان الشورة على الآداب والفضيلة والأخلاق الاسلامية.

٨- تحذير الطلبة من الإنزلاق الفكري والإعتقادي وراء معتقدات أهل الجاهلية كالســـحر والشعوذة وما شاكلها ، وتربيتهم على ترك التعليمات الخاطئة والتثبت من حصـــول أي واقعـــة يسمعونها فلا يسارعوا الى التصديق بها. وتعويدهم على التمييز بين الخرافة والحقيقة ، وعلى مخالفة أهل الجاهلية والأديان الأخرى في الشعائر والعبادات ، وعلى عدم التشدد والغلو في الدين ، ونبذ

البدعة حتى لو استحسنها العقل ، ونبذ النفاق والدجل والتملق للحكام حتى لو كانت المصـــلحة فيه.

مادة الفقه الإسلامي :

١ــ إستبعاد كتب المتون الفقيه ، والشروح لهذه المتـــون ، والـــنظم الشـــعرية الفقهيـــة والدراسات والشروح عليها لكونها هي التي أدت إلى جمود الفقه .

٢ــ تعويد الطلبة على التفكير في النصوص واستنباط الأحكام منها بدلا من الحفظ ، وإن كان لابد للطالب من حفظ قدر من القرآن الكريم والآحاديث النبوية ، وحفظ بعض القواعـــد النحوية والأصولية والفقهية ، وبعض قواعد مصطلح الحديث .

٣ــ إعطاء معلومات عامة عن الحياة المعاصرة سياسيا وإقتصـــاديا واجتماعيـــا وتربويـــا وعسكريا ، لأن فهم الواقع ضروري في الاجتهاد ، فلا يتأتى الوصول إلى فهم الحكم الشرعي إلا بعد فهم الواقع ومعرفة مدى إنطباق الحكم الشرعي عليه أو عدم انطباقه . ويجري ذلك عن طريق أسلوب إعطاء المسألة التي بحثها الفقهاء وتطبيقها على الوقائع المستجدة في العصر الحاضر . فـــإن هذا من شأنه أن ينمي ملكة الفقه والاجتهاد والاستنباط لدى الطلبة .

٤ــ تعطى المسائل الفقهية من الأدلة الشرعية (الكتاب والسنة والقياس ،إجماع الصحابة) ولا تعطى من غيرها كالمصالح المرسلة والأستحسان واجماع العلماء في كل عصر . كما تعطى من المذاهب الفقهية الأربعة وغيرها ، مع ضرورة التأكيد على عدم جواز التعصب والجمـــود علـــى مذهب معين ، وأن الحكم لا يؤخذ إلا مع دليله . ويقتصر في الأخذ على الدليل الأقـــوى دون غيره .

٥ــ يعطى الرأى في ما استجد من أنواع المعاملات المالية والتجارية والاقتصادية والاحوال الشخصية والعلاقات العامة المتعلقة بالدولة والمجتمع . وكذلك يقال في فقه الجنايات والفقه السياسي فانه يعطى الرأي في مااستجد من أنواع الجرائم والجنايات ، وفي أنظمة الحكم والسياسة وأنواع الأحكام الدستورية وما شاكلها .

مادة العلوم السياسية :

١ــ تعطى العلوم السياسية كأحكام عملية لها واقع خارجي في معترك الحياة ، ولا تعطى كنظريات أو كأفكار جامدة لا يمكن تطبيقها . أي تعطى بأسلوب عملي للتطبيق وبعقلية القرن الخامس عشر لا بعقلية العصور القديمة ، فقد تعددت مصالح المسلمين التي يجب أن تقضى من قبل الدولة في هذا العصر ، وتطورت الأنظمة الأدارية وأساليب تنظيم الدواوين ، وأساليب الإدارة ، كما تعددت المرافق العامة للدولة .

٢ــ يدرب الطلبة على التفكير السياسي ، وذلك بتدريبهم على تتبع الوقائع والحوادث التي تحدث في العالم ، وإعطائهم معلومات ولو أولية أو مقتضبة عن مدلولات أخبار سوءا أكانت معلومات جغرافية أو معلومات تاريخية أو معلومات فكرية أو معلومات سياسية . وتدريبهم على تمييز الخبر والحادثة والواقعة عن طريق معرفة مصدر الخبر وموقع وقوع الحادثة والواقعة وزمانها والوضع الذي حصلت فيه ، والقصد من وجودها أو من سوق الخبر عنها ، ومدى إيجاز الخبر والإسهاب فيه وصدقه أم كذبه الى غير ذلك مما يتناوله التمحيص . بالإضافة الى ربط الخبر بالمعلومات المتعلقة به كربط الخبر الإقتصادي المتعلق بالأمور السياسية بالسياسة لا بالاقتصاد وما إلى ذلك .

٣ــ يدرب الطلبة على أساليب رسم السياسات ، وذلك عن طريق إعطائهم نماذج عن السياسات المالية والأقتصادية والصناعية والزراعية والتعليمية والأمنية والتكنولوجية وما شاكلها ،

ثم طرح بعض المشكلات والأزمات القائمة في العالم اليوم ودفعهم للتفكير برسم سياسات معينة لحل هذه المشكلات والأزمات بعقلية اسلامية سياسية واعية مبدعة .

٤ــ يجرى تعريف الطلبة بسياسة العالم بشكل عام ، وبسياسة كل دولة نريد رد كيدها عنّا أو حمل الدعوة لها في المستقبل . لأن حمل الدعوة الأسلامية إلى العالم في المستقبل لا يتيسر لنا إلا إذا كنا عارفين السياسة الدولية ومتصلين بالعالم إتصالا واعيا لأحواله مدركا لمشاكله ، عالما بدوافع دوله وشعوبه ، ومتتبعين للأعمال السياسية التي تجرى في العالم ، ومع ملاحظة الخطط والأساليب للدول في تنفيذ هذه السياسات ، وفي كيفية علاقاتها بعضها ببعض ، وفي فهم المناورات السياسية التي تقوم بها هذه الدول .

مادة الإقتصاد الإسلامي :

١ــ يجب إيجاد هوة بين الإقتصاد الإسلامي والإقتصاد الغربي والأشتراكي ، فلا يصح أن يدرس الإقتصاد الإسلامي بعقلية رجل الإقتصاد الأوروبي أو بعقلية رجل الإقتصاد الشيوعي ، بل بعقلية رجل الإقتصاد المسلم الذي يستمد نظامه الأقتصادي من مصادره الإسلامية الأصيلة . ويستأنس بتطبيق الخلفاء الراشدين لأحكام الإسلام المالية والتجارية والأقتصادية ونحوها لأنهم خير من أوتي عقلية الحكم وخير من فهم وطبق أنظمة الإسلام بما في ذلك النظام الأقتصادي . كما ينتفع بثروة الأمة الفقهية التي خلفها الفقهاء في جميع عصور الإسلام .

٢ــ يجب أن يلاحظ دائما دوام ربط أحكام الإسلام الإقتصادية بسائر الأحكام الأخرى ، سواء الأحكام المتعلقة بالدولة أو سواء الأحكام المتعلقة بالمجتمع ، مع دوام إدراك طبيعة العلاقات القائمة بين تلك الكيانات : الدولة والجماعة والفرد والمجتمع ، ودوام الوعي على النظام الإقتصادي ضمن الصيغة الإسلامية العامة التي تنظم شتى نواحي الحياة في المجتمع .

٣ــ يجب أن يلاحظ دائما دوام إرتباط الأقتصاد الإسلامي بالعقيدة الإسلامية ، وبمفاهيم الإسلام عن الكون والإنسان والحياة ، وطريقته الخاصة في تفسير الأشياء كالمفهوم الإسلامي عن الملكية الخاصة والربح وما شاكله ، وارتباطه بما يبثه الإسلام في البيئة الأسلامية من عواطف وأحاسيس قائمة على أساس مفاهيمه الخاصة كعاطفة الأخوة العامة التي تفجر في قلب كل مسلم ينبوعا من الحب للآخرين والمشاركة في آلامهم وأفراحهم وإعانتهم ماليا بإقراضهم وبالتبرع والهبة لهم وما إلى ذلك .

٤ــ يجب أن يلاحظ دائما مدى الإرتباط بين النظام الأقتصادي والسياسة المالية لدولة الخلافة ، لأنها وضعت بصورة تلتقي مع السياسة الأقتصادية العامة وتعمل لتحقيق أهداف الأقتصاد الإسلامي . فكان لا بد من إدراج الأحكام المتعلقة بالتنظيم المالي للدولة ضمن هيكل التشريع العام للحياة الاقتصادية .

٥ــ يجب أن يلاحظ دائما مدى الإرتباط بين الأقتصاد الأسلامي والنظام السياسي للأسلام لما للدولة في الإسلام من صلاحيات إقتصادية واسعة وملكيات كبيرة تتصرف فيها طبقا لاجتهادها ولما تراه مصلحة للمسلمين أو للدعوة الأسلامية . ويلاحظ مدى الأرتباط كذلك بين بعض أحكام الملكية الخاصة في الأقتصاد وأحكام الجهاد التي تنظم علاقات المسلمين بغيرهم في حالات الحرب كأحكام الغنيمة والفيء والجزية والعشور والخراج وما إلى ذلك .

٦ــ يجب أن أن يلاحظ دائما مدى الإرتباط بين الأقتصاد والتشريع الجنائي في الإسلامي كعقوبة قطع يد السارق ، فإنها قد توجد مشكلة في مجتمع رأسمالي ولكنها في المجتمع الإسلامي لا توجد مشكلة اقتصادية ، لأن النظام الاقتصادي في الأسلام قد وفر للسارق أسباب الحياة الحرة الكريمة ومحا من حياته كل الدوافع التي تضطره الى السرقة .

٧ــ يجب التركيز على كون النظام الاقتصادي في الإسلام ليس علما اقتصاديا على طــراز علم الاقتصاد السياسي في المبدأين الرأسمالي والاشتراكي ، وإنما هو دين يكفــل تنظــيم الحيــاة الاقتصادية في المجتمع كما يعالج سائر نواحي الحياة . ولذلك فإنه ليس تفسيرا موضوعيا للواقــع على غرار ما ذهبت إليه الاشتراكية والماركسية ، وإنما هو عملية تفسير للواقع أي هو ثورة للواقع الفاسد وتحويله الى واقع سليم وتحويل المجتمع الإسلامي به الى مجتمع راق ومنظم .

٨ــ يجب أن يتجنب أثناء تدريس مادة الاقتصاد كل ما يؤدي الى تسرب الرأي الشخصي المحض أثناء البحث في تفصيلات النظام الاقتصادي ، فإن ذلك يؤدي الى تبرير الواقــع وتطــوير النصوص الشرعية الاقتصادية وتأولها لأخضاعها للواقع القائم ، كما يؤدي الى دمج النصــوص ضمن إطار فكري معين غير اسلامي بحجة أن الرواية أو النص لا يقبلها العقل ، أو أنها تخالف ما عليه الأكثرية في هذا العصر . ويؤدي أيضا الى تجريد الدليل الشرعي من ظروفه وشروطه واتخاذ موقف معين بصروة مسبقة تجاه النص لابعاد العمل به بحجة عدم موافقته لتطورات العصر .

مادة التاريخ الإسلامي :

١ــ يدرس التاريخ الاسلامي بأسلوب الإستقصاء والتقصي عن الحقــائق والتثبــت مــن الأحداث التي وقعت في التاريخ ، لأن بعض الروايات كانت تلفق ويغلب عليهــا الكــذب ولا يتحقق من مدى صحتها الذين كتبوا في تاريخ الإسلام ، وبعضها كان يظهر فيه التناقض في الخبر والزمن الذي حصلت فيه الواقعة ، بالإضافة الى عدم دقة الأحصائيات المالية والتجارية وأمثالها . فكان لا بد من التثبت من جميع ذلك .

٢ــ يجب دوام الحذر من الروايات التي روج لها أعداء الإسلام المبغضين له ، فلا تأخــذها بتاتا ، ولا نأخذ التاريخ إلا بالتحقيق الدقيق من المسلمين أنفسهم ، حتى لا نأخذ الصورة المشوهة والمغلوطة عن أحداث التاريخ الإسلامي .

٣ــ على المدرس أن يتجنب القياس الشمولي على المجتمع في تاريخ بعض الأفــراد ، أو في تاريخ ناحية معينة في المجتمع . فمن الخطأ أن نأخذ العصر الأموي من تاريخ يزيــد مــثلا ، وأن ناخذ تاريخ العصر العباسي من بعض حوادث خلفائه . كذلك لا يجوز أن نحكم على المجتمع في العصر العباسي من قراءة كتاب الأغاني للاصفهاني الذي ألف لأخبار المجان والشعراء والأدباء ، أو من قراءة كتب التصوف وما شاكلها ، فنحكم على العصر بأنه عصر فسق وفجور أو عصر زهد وانعزال ، بل يجب أن نأخذ التاريخ بأكمله .

٤ــ يجب أن لا يغيب عن البال أن كتب التاريخ لم تكتب تاريخ المجتمع الإسلامي في كل عصر من عصور الإسلام ، وإنما كتبت أخبار الحكام وبعض المتنفذين ، والذين كتبوا ذلك ليسوا من الثقات ، وكلهم إما قادح أو مادح ، ولا يقبل لواحد منهم قول ، ولذلك لا يصح أن تتخذ الكتب التاريخية مرجعا للوقوف على تاريخ المجتمع الإسلامي ، وإنما تجعل كتب الفقــه مرجعــا للحكم على واقع المجتمع في كل العصور .

٥ــ يجب أن يلاحظ دائما أن التاريخ لا يجوز أن يكون مصدرا للنظام والفقه ، بل النظام يؤخذ من مصادره الفقهية لا من التاريخ ، لأن التاريخ ليس مصدرا له . فحين نريــد أن نفهــم الفقه الإنجليزي مثلا لا نأخذه من تاريخ إنجلترا بل نأخذه من الفقه الانجليزي وكــذلك نظــام الإسلام فإنه لا يصح أن يؤخذ من التاريخ ، وإنما يؤخذ من كتب الفقه الإسلامي . ولــذلك لا يصح أن يكون التاريخ مصدرا للنظام الإسلامي ، لا من حيث معرفته ، ولا من حيث الإستدلال به . فلا يصح أن يكون تاريخ عمر بن الخطاب مثلا أو تاريخ عمر بن عبد العزيــز أو هــارون الرشيد مرجعا للأحكام الشرعية ، لا في الحوادث التاريخية التي رويت عنهم ، ولا في الكتب التي ألفت في تاريخهم . وإن أتبع رأي لعمر في حادثة فإنما يتبع باعتباره حكما شرعيا استنبطه عمــر وطبقه ، ولا يتبع باعتباره حادثة تاريخية .

٦ــ يجرى التركيز على كيفية تطبيق الدولة والأمة لنظام الإسلام وهذا ممكن معرفته من الحوادث السياسية المذكورة في كتب التاريخ ، فإنه يرى فيها كيفية تطبيق المسلمين أفرادا كانوا أم حكاما أم جماعات لنظام الإسلام . إلا أن هذا النوع من الحوادث السياسية لا يجوز لنا أن نأخذه إلا بالتحقيق الدقيق من المسلمين ، ولا يجوز أن يؤخذ من غير المسلمين . ولكن لا نأخذه من الكتب التاريخية التي تتحدث عن عصر من العصور أو عن شخصية من الشخصيات ، لأن ذلك قد خضع في جميع العصور للظروف السياسية وكانت تحشى بالكذب إما بجانب الذي كتب في أيامه ، وإما ضد الذين كتب عنهم في أيام غيرهم . ومثل ذلك تاريخ الحوادث السياسية في عصرنا وفيما قبله . وأما الآثار الإسلامية فإنه إذا درست بتراهة تعطي حقيقة تاريخية وإن كانت لا تشكل تسلسلا تاريخيا ، ولكنها تدل على ثبوت بعض الحوادث . أما الرواية فإنها من المصادر الصحيحة التي يعتمد عليها في فهم التاريخ إذا صحت الرواية . وعلى هذا الأسلوب يدرس التاريخ وتعاد كتابته مرة ثانية ، ويجرى تنقيح الروايات الواردة في كتب التاريخ القديمة كتاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وغيرهما .

٧ــ حين تدريس التاريخ يجب التركيز على أن الأمة الاسلامية قد عاشت بعقيدة واحدة على مدار التاريخ ، ولم يؤثر دخول الأفكار الدخيلة والآراء المستوردة من الأمم الأخرى على كون العقيدة الإسلامية هي وحدها عقيدة الأمة . ويعود ذلك إلى أن الذين حملوها وروجوا لها هم فئة قليلة من المسلمين لا الامة كلها ، حتى وإن بلغ تعدادهم عشرات الملايين ، لأن الأمة لازالت تعتنق العقيدة الاسلامية وإن كانت قد فاضت الحيوية منها وضعفت أفكارها في النفوس .

٨ــ البحث في التاريخ في حقيقته ليس مجرد سر الحوادث التي حدثت أو تحدث ، وإنما هو تفسير هذه الحوادث ، والإهتداء الى الظواهر والروابط التي تجمع بين الحوادث المتفرقة وتبيين مسبباتها وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات ممتدة مع الزمن متفاعلة مع البيئة . لذلك فإننا حين نستعرض التاريخ الاسلامي لا نبحث في الدور الذي أحدثه في حياة البشرية من ناحية الفتوحات

الكبرى ، وإنما نبحث في الدور البارز الذي أحدثه من ناحية التأثير الحضاري والروحي والفكري والاجتماعي أيضا ، فإنه هو الذي أحدث تحولا كاملا في خط سير التاريخ .

٩ــ يجب تجنب تقسيم التاريخ الاسلامي الى دول ، فلا يصح أن يقال ، الدولة الأموية ، الدولة العباسية ، الدولة العثمانية ... الخ ، لأن ذلك يعني قصر عمر الخلافة على خلافة الراشدين . مع أن ذلك غير صحيح ، إذا الدولة الاسلامية قد امتدت عبر العصور المختلفة وحتى نجاح الغرب بالإجهاز عليها على يد كمال اتاتورك عام ١٩٢٤ م . وما حصل من قيام حركات انفصالية عن جسم الخلافة فإن هذه الحركات لم تؤثر على دوام وجود الخلافة ، علاوة على أن الخلافة قد استطاعت أن تجهض هذه الحركات ولا سيما في أيام عزها وقوتها .

١٠ــ يجب تجنب السير وراء المستشرقين في النيل من بعض الخلفاء الراشدين كعثمان وعلى ، أو بعض الخلفاء الأمويين كمعاوية ، أو العباسيين كهارون ، أو العثمانيين كالسلطان عبد الحميد ، وأمثالهم ، فلا يصح أن نردد وراءهم أن عثمان بن عفان قد خالف عمر في التولية والعزل والسياسة المالية والموقف من كبار الصحابة وتعيين بعض الأهل حتى حدثت الفتنة . أو أن نصف معاوةة بالدهاء والمكر كما وصفوه هم ، أو نصف هارون الرشيد بأنه لا يكاد يفيق من الشراب ومجالس الغناء ، أو أن نصف السطان عبد الحميد الثاني بالدكتاتورية والاستبداد على نحو ماروج له المستشرقون .

١١ــ يجب أن يتجنب تقسيم المسلمين في العصور الأولى الى فئآت من شيعة وخوراج وغيرهم من زبيريين وأمويين وموالي .. الخ ، فإن هذا لم يكن أبدا وإنما اذا حدثت ثورة أو قامت حركة أيدها من يرى رأيها ودعمها من كان لها نصيرا . أما في الأحوال العادية فليس هناك من فكر متميز أبدا وإنما جماعة واحدة فإذا ما سارت الجيوش بالفاتحين إنخرطوا فيها جميعا .

مادة الدعوة الإسلامية :

١ــ يجب التفريق بين الدعوة الى الاسلام والدعوة الى استئناف الحياة الاسلامية ، وذلك لمعرفة الغاية التي تسير إليها الدعوة ، ويجب التفريق أيضا بين الدعوة التي يحملها جماعة في أمة وبين الدعوة التي تحملها دولة اسلامية ، وذلك لمعرفة نوع العمل الذي يقوم به حملة الدعوة ، فالدعوة التي تحملها الدولة الإسلامية تتمثل فيها الناحية العملية . فهي تحمل الدعوة الى الكفار بطريق الدعاية وشرح أفكار الاسلام ، وبإعداد القوة للجهاد في سبيل الله ولحكم البلاد التي تفتحها بالاسلام . وأما الدعوة الي تحملها جماعة أو كتلة فإنها تتمثل فيها الناحية الفكرية والسياسية لا الناحية العملية ، فتقوم بالصراع الفكري لتحطيم أفكار الكفر في المجتمع وإبراز أفكار الأسلام وأحكامه كبديل لتلك الأفكار ، كما تقوم بالكفاح السياسي بكشف جرائم الدول المتحكمة في العالم ، وفضح المؤامرات الخبيثة وبيان خطر السياسات الزائفة ، وبيان دجل السياسيين والمنافقين من الحكام ، واتخاذ كافة الأساليب لإضعافهم وأخذ السلطة منهم عن طريق الانقلاب يقوم به الجيش أو الثورة التي تقوم بها الأمة .

٢ــ يجب أن يبين أن الدعوة لإستئناف حياة إسلامية بإقامة دولة الخلافة وتطبيق أحكام الإسلام ، لا تحمل بشكل فردي وإنما بشكل جماعي ، لأن العمل الفردي مهما كثر لا يقيم دولة ولا يوصل إلى أخذ حكم ، ولأن الشرع قد أو جب على المسلمين أن يحملوا الدعوة من قبل جماعة أو حزب سياسي ، وأن يتقيدوا في حملهم للدعوة بطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فيتخذوا حياته في مكة قدوة للسير حسبها ، مع ملاحظة الفارق بين مجتمع مكة والجزيرة العربية وبين المجتمعات اليوم ، ثم مقارنة الوضع الدولي الخارجي زمن الرسول عليه السلام وبين الوضع الدولي الخارجي القائم في العالم اليوم . مع دوام ملاحظة الفارق بين أهل مكة ودعوتهم للإسلام وبين المسلمين الآن ودعوتهم لإستئناف حياة إسلامية .

٣ــ يجب أن يبين أن حمل الدعوة الاسلامية في هذا العصر بالطريق السياسي هو العمل المطلوب من المسلمين قبل غيره ، لأن المسلمين قد عطلوا أحكام دينهم وفرقوا كلمتهم وتركوا للدول الغربية أن تسيطر على بلادهم وأن تمحو خلافتهم وتجعل دارهم دار كفر وأما إنشغال المسلمين بغيره من الأعمال فإنه غير مطلوب منهم الآن بناء المدارس والجامعات والمستشفيات ودور العجزة والآيتام والقيام بالأعمال الخيرية بشكل جماعي ، لأن هذه الأعمال وإن جاز للأفراد القيام بها ، ولكن لا يجوز لهم أن يوجدوا كتلة للقيام بها لأنها من عمل الدولة ومن حقوقهم عليها ، ويجب عليهم أن يحاسبوا حكامهم على تقصيرهم في أداء هذه الحقوق .

٤ــ إن أسلوب الدعوة يقتضي الوعي الصحيح التام على الإسلام وعلى الأوضاع القائمة في العالم الإسلامي وفي العالم كله ، ويقتضي الجرأة والصراحة في بيان الحقائق للناس وفي حمل الدعوة إليهم ، وتحديث كل ما يخالف العقيدة الإسلامية والاحكام الشرعية ومجابهته لبيان زيفه بغض النظر عن النتائج وعن الأوضاع . ويجب أن يبين أن أسلوب الدعوة هو أسلوب هجومي لا لين فهي ولا مهادنة ، وأنه يجب أن يكون سافرا متحديا كل شيء : العادات والتقاليد والأفكار السقيمة والمفاهيم المغلوطة ، بما في ذلك تحدي الرأي العام إذا كان خاطئا ولو تصدى لكفاح حملة الدعوة ، وتحدى العقائد والأديان ولو تعرض حامل الدعوة لتعصب أهلها ونقمة الجامدين على ضلالها .

٥ــ يجب أن يبين بكل صراحة أن حكام المسلمين اليوم قد تركوا شريعة ربهم واستباحوا المحرمات وارتكبوا الفواحش والموبقات ، وأنهم لم يكتفوا في سبيل المحافظة على بقائهم حكاما بترك شريعة الله وهدم نظام الاسلام ، وإنما أخذوا يصدون عن سبيل الله فيمنعون المسلمين من العمل لإعادة الخلافة . ويوجد الى جانبهم من يعاونهم على ذلك ممن أقاموهم دعائهم لحكمهم كمجاليس النواب ، ومن أقاموها حراسا لأشخاصهم كقواتهم الخاصة الذين يحمونهم ويبطنون بكل من يحاول التخلص من ظلمهم وحكمهم ، بالإضافة إلى الجواسيس الذين سلطوهم على رقاب المسلمين ، وقضاة الجور من قضاة المحاكم العسكرية الذين يقضون بغير حق .

٦ــ يجب أن يبين للطلبة أن العالم الإسلامي قد قامت فيه حركات متعددة لإنهاض المسلمين ، ولكنها قد أخفقت لكونها لم تفهم الفكرة الإسلامية فهما دقيقا ولذلك كانت تدعو للإسلام بشكل مفتوح وعام ، وبعضها حاول تأويل الإسلام ليتفق مع الواقع القائم . وقد أخفقت كذلك بسبب عدم وضوع طريقة الإسلام لديها في تنفيذه فرأي بعضهم عودة الإسلام ببناء المساجد وإصدار المؤلفات ، وبعضهم رأي ذلك بإقامة الجمعيات الخيرية والتعاونية وبالتربية الخلقية وإصلاح الأفراد ، غافلين عن فساد المجتمع وسيطرة أفكار الحكم وأحكامه وأنظمته عليه . وبعضهم رأى أن الطريق لإيجاد الإسلام هي القوة أي حمل السلاح ضد الدولة ، ظنا منهم أن المشكلة تتعلق بالحاكم ، مع أن المشكلة في تغيير البلاد الإسلامية من دار كفر إلى دار إسلام ، والعمل على إنهاض المسلمين نهضة وسياسية من ثم نهضة مادية .

٧ــ يجب تصحيح نظرة الناس إلى الأسلوب الحكيم في الدعوة وكونه هو الأسلوب الهادئ ، واعتقادهم أن الحكمة في التأني ومراعاة الظرف . ويجب أن يبين أن الأسلوب العقائدي هو الاسلوب الكفاحي ، وأن العقيدة الثابتة ترفض ما يخالفها ، وترفض إقرار الباطل ، وأنها تصر على المقاومة والاستنكار حتى يتم لها ما تريد من إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، وفرض أفكار وأحكام الإسلام في هذا الوجود.

٨ــ يجب أن يبين أن الكفاح السياسي يحتاج الى خطة وأسلوب ، كخطة الدخول الى المجتمع ، أو غزو الأوساط السياسية وما شاكلها . ومن الأساليب التي يمكن أتخاذها لنشر الأفكار والآراء والتحريك الجماهيري في المجتمع : الكتابة في الجرائد والمجلات ، القاء المحاضرات في أي مكان يتمكن منه ، المناظرات في مواضيع الساعة ، مناقشة المدرسين في المساجد ، مناقشة المحاضرين ، مناقشة المدرسين في المدارس والجامعات ، مناقشة الناس في البيوت والسيارات والأسواق وفي كل مكان .

٩ــ يجب إعطاء نبذة عن مواقف العلماء المسلمين من الحكام وكيف أنهم كانوا يجهــرون بكلمة الحق أمام الحكام الظلمة دون أن يحسبوا لجبروتهم وقوتهم أي حساب ، الى درجــة أنهــم تحملوا السجن والأذي والتعذيب في سبيل تقويم إعوجاج الحكام ، وكشــف ســوء أفعــالهم وفسادهم وخياناتهم للأمة . ولا بد من تبيان كيفية ثباتهم على العقيدة في عدم قبولهم لمنع الحكام وعطاياهم أو أن يكونوا مطية لتحقيق أهوائهم ورغباتهم ، وفي صبرهم على محن الحكام وتعذيبهم لهم في السجون ، بالإضافة الى خدمتهم الجليلة للإسلام في مؤلفاتهم الكثيرة الــتي تركوهــا وفي حلقاتهم العلمية التي رفعت مستوى الأمة وجعلتها تحتل مركزا مرموقا بين الأمم .

مادة الحقوق والقانون الإسلامي :

١ــ يجب التفريق بين معنى الحق عند فقهاء القانون الوضعي ومعنى الحق عنــد الفقهــاء المسلمين . ففقهاء الغرب يفهمون الحق فهما خاطئا ويبنون على هذا الفهــم جميــع نظريــاتهم التشريعية . فالحق عندهم مصلحة ذات قيمة مالية يقررها القانون ، مع أنه في واقعــه مصــلحة مطلقة يقررها الشرع ، وهذه المصلحة قد تكون ذات قيمة مالية ، وقد تكون ذات قيمة إعتبارية كالحقوق الزوجية وحق الحضانة ، وقد تكون ذات قيمة معنوية كما هي عند فقهاء المســلمين وذلك من مثل المحافظة على الشرف والكرامة الإنسانية .

٢ــ يبين فساد المشرعين الغربيين في تقسيم الحق الى حق شخصي وحق عيني ، إذ لا يوجد فرق بينهما ، أو في المعاملات التي فرعوها عليهما . والتعاريف التي عرفوها في ذلك كلها مبنيــة على فروض منطقية وليست هي وصف لواقع ولا حكما على واقع ، قد جعلوا العلاقة ناشئة بين الشخص والشيء وليست بين شخص وشخص ، وهذا خطأ لأن العلاقة إنما تكون بين الشخص والشخص وموضوعها الشيء . وكذلك حين عرفوا الحق الشخصي بأنه رابطة بين شخصين دائن ومدين يخول الدائن بمقتضاها مطالبة المدين بإعطاء شيء أو بالقيام بعمل أو بالإمتناع عن عمل ، فإنهم قد جعلوا الحق رابطة بين شخصين سواء وجد شيء أم لم يوجد ، وهذا خطأ لأن الواقع أن

الشيء هو موضوع العلاقة بل هو أساس العلاقة . ثم أن هذه العلاقة التي سموها رابطة لا تخـــول أحد الشخصين مطالبة الآخر ، بل تخول كل منهما مطالبة الآخر ، وهذا ما يجب أن يكون .

٣ــ تعطى فكرة عامة وشاملة عن الإسلام وكيف أنه قد أعطى الإنسان من الحقوق مـــا لم تعطه إياه القوانين الوضعية والمواثيق الدولية ، لا قبل الإسلام ولا بعده وحتى عصرنا اليوم . وهنا تجرى مقارنة بين الحقوق التي هي عليه في الغرب وفي العالم كله ، من حيث النتائج التي أدت إليها الأفكار والمفاهيم الغربية عن الحياة ، والأفكار والمفاهيم الاشتراكية والشيوعية ، والتي تتنـــاقض كليا مع ما إتفقوا عليه من معاهدات ومواثيق دولية في حقوق الإنسان ويبين كيـــف أن الـــدول كلها في العالم تنتهك حقوق الإنسان ، وبين الحقوق في الإسلام من حيث النتائج التي أدت إليها أفكار ومفاهيم الإسلام عن الحياة والإنسان أيام دولة الخلافة ، وكيف أن هذه الحقوق كانـــت مصونة من قبل الدولة وواجبة التنفيذ .

٤ــ تعطى أمثلة عن القوانين والتشريعات في زمن دولة الخلافة ليدرك مدى عظمة التشريع الإسلامي ، ومدى نجاح الفقهاء والمشرعين المسلمين ومعهم الحكام والقضاة في معالجة المشكلات والأزمات الضخمة التي واجهتهم أثناء تطبيق الإسلام وحملهم دعوته الى العالم . كما يبين مدى نجاحهم في تطبيق نظام الإسلام الى أبعد حدود النجاح . وأما هذه القوانين والتشـــريعات فإنهـــا يجب أن تؤخذ من كتب الفقه لا من كتب التاريخ ولا من المجلة العدلية التي قننت فيهـــا دولـــة الخلافة العثمانية الأحكام الشرعية على المذهب الحنفي ، لأن كتب التاريخ ليست مصدرا لمعرفة النظام ، ولأن المجلة لا يصح أن تتخذ مرجعا لفساد أسلوبها وضحالة معلوماتهـــا وبعـــدها عـــن الأحكام الشرعية المعتبرة المستندة الى الأدلة الشرعية .

٥ــ يجب أن يبين للطلبة أن الفتاوى هي أحط أنواع التأليف في الفقه لأن العلماء قد جروا فيها على طريقة سرد المسائل والاحكام دون إيراد وجوهها وفروعها . ولذلك لا يصح أن تتخذ مرجعا للأحكام الشرعية لبعدها عن طريقة الأجتهاد في استنباط الأحكام . ومثل الفتاوى المراجع

التي ألفت على طريقة التقنين التشريعي من مثل المجلة العدلية ، فإنها لا يجوز أن تتخـــذ مرجعـــا للأحكام الشرعية ومستندا لها ، لأنها مظهر من مظاهر التقليد للقوانين الغربية ، ولأن هذا التقنين يسير بشكل إختصار للفقه ويغلب عليها أخذ المسائل الفقهية التي ليس لها دليل أو ضعيفة الدليل ، كما تغلب عليها روح مسايرة العصر والتأويل ليوافق وجهة نظر الغرب في حـــل المشـــاكل ، فضلا عن إنعدام الناحية التشريعية وإنعدام الإجتهاد فيها . ولأنها قد أضعفت معرفة الناس بالفقه الإسلامي ، بل جعلت القضاة الممطبقين لها جهلاء في الفقه حين اقتصروا علـــى معرفـــة هـــذه القوانين دون التبحر في كتب الفقه .

٦ــ لضمان فقه القضاة والحكام للدستور والقوانين يجب أن تبين الطريقة التي تســـلك في التشريع والتي هي تتلخص في دراسة المشاكل الانسانية ووضع دستور عام لها بشكل قواعد كلية عامة أو أحكام شرعية عامة ، ويجب أن تكون مستمدة من الفقه الإسلامي وحده ، ولذا فإنه لا يجوز أن ينظر الى الواقع السيء عند المسلمين ولا إلى واقع الأمم الأخرى ولا إلى الأنظمـــة غـــير الإسلامية مطلقا . ويجب أن توضع الأحكام الشرعية على شكل مشاريع لقـــوانين العقوبـــات والحقوق والبيّنات وغيرها وفق الدستور ، وأن يبين في الدستور والقانون الأسباب الموجبة في كل مادة والمذهب الذي اعتمدت عليه ودليله . وأن تجعل النصوص الشرعية والفقه الإسلامي وعلـــم أصول الفقه المرجع لتفسير الدستور والقانون للقضاة والحكام حتى تتهيأ لهم وسائل الفهم العميق . كما يجب أن يلاحظ أثناء ذلك فهم الواقع والفقه فيه وأن يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه الى معرفة حكم الله .

مادة التربية الإسلامية :

١ــ يجب مقارنة التربية الحديثة لدى علماء الغرب بنظم التربية لدى المسلمين ، وأثناء البحث فيها يؤكد على فشل نظم التربية عند الغربيين في تربية الأجيال ، وتعطى صورة شاملة عن ما تسبب عنها من أزمات تربوية مستعصية ، ويبين السبب في ذلك في كونها تقوم على أفكار تربوية فاسدة أدت الى فساد مناهج التعليم وطرقه ، وكونها متأثرة بنظريات علوم الأجتماع المبنية في جملتها على نظرة خاطئة للفرد والمجتمع ، ولكونها أيضا مبنية على علم النفس الذي ينظر الى الإنسان وغرائزه ودماغه نظرة خاطئة فنتج عن ذلك أخطاء عديدة .

منها إعتبار المجتمعات منفصلة وأن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لمجتمع آخر ، وإعتبار أن بعض الأدمغة توجد فيها قابليات ليست موجودة في أدمغة أخرى ، وبناء على هذا نظروا إلى بعض الناس فيهم قابلية لفهم اللغات وليس فيم قابليات لفهم الرياضيات أو على العكس ، وكذلك سائر العلوم .

٢ــ تجري مقارنة نتائج التربية الغربية والتربية الإسلامية ، ويبين كيف أن الشعارات التي يضعها الحكام والمفكرون والمربون تتناقض مع السياسات التي يضعها الحكام وبعض القادة والمفكرين ، ومن ذلك شعار حرية الشعوب الضعيفة وأعطائها حق تقرير المصير ، وشعار السلام العالمي ، وشعار حفظ الصحة العامة ، وحفظ الأسرة ، وحفظ الطفولة ، وما إلى ذلك . فإنها كلها شعارات فاشلة لم تؤدي إلى أية نتيجة مرضية على صعيد تكوين الشعوب وإعدادها وتربيتها . وبعد ذلك تبين آثار ونتائج التربية الإسلامية فإن الأمة الإسلامية قد علمت شعوب العالم الحضارة والثقافة الإسلامية ، ورفعت المستوى العقلي لديها ، وجعلتها تصدق بالحياة الأخرى وترى أنها هي الحياة الحقيقية ، وجعلت للسعادة عندها معنى حقيقيا يصل الدنيا بالآخرة ، فلا يجعل للملذات والشهوات والمتع الجسدية والجاه والمال أي قيمة إلا من خلال ما جاءت في أحكام الإسلام بشأنها وما يترتب على ذلك من نوال رضوان الله تعالى . وفوق ذلك فقد علمت الأمة الإسلامية الشعوب المعارف والعلوم العامة كالطب

والفلك وعلوم الحياة ، حتى استطاع الغرب أن يحقق نهضة مادية وصناعية بفضل هذه العلوم التي نقلها وتعلمها من المسلمين .

٣ــ يجب أن يبين أن القرآن والسنة هما المصدر الأصلي للتربية الإسلامية ، فلا تؤخذ أي فكرة من أفكار التربية إلا عنها ، ويستأنس بما كان عليه جمهور الصحابة في تعليم أبنائهم وتعليمهم الناس عامة ، كما يستأنس بآراء كبار علماء المسلمين في التربية ، تلك التي دونوها في كتبهم العديدة كسياسة الصبيان لإبن سيناء ، وتهذيب الأخلاق لإبن مسكويه ، وتعليم المتعلم طرق التعليم لبرهان الدين الزرنوجي ، وآداب الدارس والمدرس للإمام النووي وغيرها الكثير الكثير مما يعد بعشرات المئات من الكتب والمخطوطات التي تبحث في علوم التربية الإسلامية .

٤ــ يبين مدى قدرة التربية الإسلامية على معالجة القضايا والمشكلات المعاصرة المتعلقة بالتربية ، كمشكلة الطفولة وما يتعلق بها من أمور من حماية ورعاية وتأديب ، وكمشكلة الفراغ النفسي عند المراهقين والشباب وما يتعلق بها من معالجات فاسدة أو فاشلة كتشجيع الأختلاط والعلاقات الجنسية ، وكالرياضة والألعاب الإلكترونية وإشغال الشباب بها ، وكمشلكة التقنية (التكنولوجيا) وما نتج عنها من إختراع أدوات الدمار والأسلحة الخطيرة الفتاكة . فهذه المشكلات وأمثالها من المشكلات المتعلقة بالتعليم كمحو الأمية ومشكلة الإمتحانات والشهادات الخ .

كل هذه المشكلات حين نعرضها ونناقشها لا بد أن نبين مدى قدرة التربية الإسلامية على حلها بالشكل الذي يؤمن الراحة ويوفر الأمن والأستقرار والعيش الكريم الذي يليق بالإنسان ، والحياة الهانئة الرغيدة المفعمة بالإيمان .

٥ــ يجب تحديد الأهداف العامة لتعلم العلوم الإسلامية ، كتحديد الهدف من تعلم العقيدة الإسلامية بتكوين المفاهيم الصحيحة عنها وتركيز العقيدة في النفوس، وتنقيتها من

الغشاوات التي علقت بها على مر العصور ، وتحريرها من الضلالات والبـــدع والخرافـــات ، وإيجاد الشعور عند المسلم بالإعتزاز بها ودفعه للعمل على نشرها والعمل بها في معترك الحياة ، وما إلى ذلك .

٦ــ يجب إحياء الفكرة الإسلامية من جديد في نفوس المسلمين ، وهـــذا يقتضـــي أن توضع أمام الجيل الحالي صورة واضحة للحضارة الإسلامية بجميع عناصرها وقيمها ووســـائل بنائها وكيفية تحقيقها . ويجب إقناع الجيل الحاضر بأهمية هذه الحضارة وقيمتها وضروريتها ، لا للأمة الإسلامية فحسب بل للعالم كله ، ويجب أن يصحب هذا بيان لجوانـــب الـــنقص والفساد في الحضارات القائمة في العالم اليوم كالحضارة الغربية والحضارة الشيوعية . ويجـــب إشعار هذا الجيل بأن إقامة مثل هذه الحضارات يحتاج إلى جهود جبارة وكفاح طويل ، وأن عليهم أن يستمدوا لتلك المهمة ، وحتى يتأتى ذلك لا بد من تنشئة الجيل الحالي علـــى قـــيم الحضارة الإسلامية ومفاهيمها ، وتدريبهم على تحمل الصعوبات والمشقات في سبيل الـــدفاع والزود عن هذه الحضارة ، والتضحية والبذل من أجل بناء حضارة الإسلام وتحقيق المستقبل المنشود للإمة الإسلامية . كما ويجب الإهتمام بتربية الجيل الحالي على إتقان المهن والمهارات المختلفة ، وتدريبه على الإبتكار والأختراع ، وإعداده لمهمة التصنيع الثقيل وتلقـــي العلـــوم الضرورية اللازمة للأمة .

مادة القضاء الإسلامية :

١ــ تبيين مكانة القضاء في الإسلام من حيث كونه لا يتأثر بالسياسة ولا بميول الحكام ، ومن حيث كون القضاة في الدولة مطلقي التفكير والفهم لأحكـــام الشـــرع ، وأنهـــم لا يحكمون إلا بما ترجح إليهم من دليل دون التقيد بمذهب معين أو برأي من الآراء لأي مجتهد . إلا في حال إما إذا أصدرت الدولة تشريعات أو قوانين معينة تتعلق بالمعاملات أو العقوبات أو الأحوال الشخصية وما شاكلها ، فإنه في هذه الحالة يجب على القاضي التقيد بها وحدها ولو

خالفت رأيه واجتهاده . كما يجب أن يبين أن أحكام القضاء نافذة على جميع الناس بما في ذلك الدولة ، فليس للخليفة ولا من دونه من الحكام ومديري الدوائر والعسكريين أية سلطة على القاضي في قضائه ، بل هم خاضعون لحكمه منفذون لقراراته وأوامره .

٢ــ يبين أن القضاء في الإسلام واحد لا يتجزأ ولا يتعدد ، فالقاضي في دولة الخلافة هو كل من يتولى القضاء . فلا يوجد في الإسلام قاض شرعي وقاض نظامي ، بل يوجد قاض يحكم بين الناس بما أنزل الله حين يوكل إليه أمر القضاء .

ولهذا لا توجد في دولة الخلافة محاكم نقض أو إستئناف ولا محاكم تمييز . لأن القضاء من حيث البت في القضية درجة واحدة ، فإذا نطق القاضي بالحكم فحكمه نافذ ولا ينقضه حكم قاض أخر مطقا حتى ولا المحكمة العسكرية و المحكمة العرفية .

٣ــ يبين أن درجات القضاء في الإسلام تتعدد تبعا لأنواع القضايا ، فيخصص بعض القضاة بأقضية معينة إلى حد معين تبعا لأنواع محاكمهم ، ويجوز أن يوكل أمر هذه القضايا إلى محاكم أخرى . ويبين كذلك أنواع المحاكم في دولة الخلافة واختصاصاتها كمحاكم الأحوال الشخصية ومحاكم المعاملات ومحاكم العقوبات ، وما يندرج تحتها من محاكم كمحكمة الحدود ومحكمة الجنايات ومحكمة المخالفات .

بإلاضافة ألى المحاكم التي تبت في المظالم كمحكمة المظالم العليا ، ومحكمة ظلامات الخليفة ونائبه ومن يلحق به من أشخاص ، وكمحكمة ظلامات أمير الجيش إلخ .

٤ــ يجب أن تبين وظيفة القاضي وصفاته وكيفية تقليده وصلاحياته ومدة وجوده في القضاء وكيفية عزله ، ويفرق في ذلك بين أحكام قاضي الخصومات وقاضي الحسبة وقاضي المظالم ، فلكل منهم صلاحياته ، فصلاحيات قاضي الخصومات فعل الخصومات في الولاية أو المحلة على أي شخص من جهاز الدولة وعلى أي فرد من الرعايا . بينما لقاضي الحسبة صلاحية النظر في كافة القضايا التي هي حقوق عامة ولا يوجد فيها مدع ولا تدخل في

الحدود والجنايات ، وذلك من مثل الإشراف على نظام الأسواق وعلى حركة المرور في الشوارع ومنع المنكر والمحافظة على الآداب العامة الخ . أما قاضي المظالم الأعلى فله صلاحيات عزل الخليفة وعزل أي حاكم أو موظف في الدولة ، بالإضافة الى مراقبة الدستور والقوانين ، إلى ما هنالك من صلاحيات .

٥ــ تدرس أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم التي قضى فيها ، أو التي أمر بالقضاء فيها ، وذلك لأنه لا يحل لمن تقلد القضاء أن يحكم بين الناس إلا بما أمر الله به عزوجل في كتابة أو بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حكم به ، أو بما دلت عليه النصوص الشرعية في الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقياس . وتدرس أيضا أقضية الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من القضاة في سائر عصور الإسلام ، وهذه تؤخذ من كتب الحديث والفقه ، ومن الكتب التي ألفت في أقضية القضاة مثل كتاب الولاة والقضاة للكندي وغيره ، كما تؤخذ من سجلات المحاكم الشرعية المحفوظة في البلدان الإسلامية القديمة كالقدس وبغداد ودمشق ومصر واسطنبول وغيرها . ودراستها تعطي ولا شك فكرة واضحة وافية عن نوعية الأحكام الشرعية التي كان يقضي بها القضاة ، وتدل يقينا على أن الشرع الإسلامي وحده هو الذي كان يطبقه القضاة .

٦ــ تعطي أمثلة عن أقضية المحاكم الشرعية والنظامية في العصر الحديث للدولة للدلالة على مدى إنحطاط الفقه الموجودة في كافة البلاد الإسلامية ، وللدلالة على ضيق فهم القضاة للأحكام الشرعية وجمودهم وغلبة روح التقليد عليهم . وللدلالة على أن القوانين والتشريعات الغربية هي التي تطبق ولازالت في بلاد المسلمين . ثم يبين حكم الشرع في العمل بها والحكم بمقتضاها ، وحكم الشرع في تقسيم القضاء والمحاكم الى شرعي ومدني ، وحكم الشرع في مدارس وكليات الحقوق التي تدرس فيها ولازالت القوانين الغربية .

مادة الإدارة والقيادة :

١ــ يجري التركيز أولا على إدارة أعمال الدولة ، فيبين أن سياسة الإدارة للدولة إنما تقوم على البساطة في النظام والإسراع في إنجاز الأعمال والكفاية فيمن يتولون الإدارة . ولتحقيق هذه السياسة الإدارية لا بد من تبني أنظمة إدارية تمنع تسرب الخلل إلى الإدارة ، وهذه الأنظمة الإدارية منها ما يتعلق بنظام الجهاز الإداري في الدولة ، ومنها ما يتعلق بالأساليب والوسائل الأدارية ، ومنها ما يتعلق بنظام الموظفين وبعلاقة الجمهور بالأدارة والموظفين .

٢ــ يبين أن الإسلام لا يمنع من الإنتفاع بما عند الأمم الأخرى من أنظمة إدارية ومن وسائل إدارية ، فقد أخذ عمر بن الخطاب نظام الدواوين عن الفرس والروم وطوره الخلفاء من بعده وانتفعوا بما عند الأمم الأخرى من وسائل وأساليب إدارية . ولكنهم لم يأخذوها بعقلية جامدة كما نأخذها نحن اليوم ، وإنما أخذوها بعقلية مبتكرة متطورة ، وراعوا في أخذها الغاية التي أخذت من أجلها ، والعمل الذي نقلت له ، وكانوا يفرقون بين النظام الإداري الذي يؤخذ لمعالجة الوسائل المتعلقة بالعمل ، وبين النظام الذي يعالج نفس العمل الإنساني . فالتنظيم الإداري المتعلق بالأشكال المدنية أجازوا أخذه ، وأما نظام الحياة الذي ينظم أعمال الإنسان ويؤجهها ويتعلق بالثقافة والحضارة والمفاهيم العامة عن الحياة ، فإنهم لم يأخذوه بل حرموا أخذه بتاتا.

٣ــ يبين أن الموظفين في الدولة هم خدمة للناس ، مديرين كانوا أم من دونهم ، ولذلك إن الإسلام يمنع إستبداد الرؤساء بالمرؤوسين ، ويمنع إستبداد الموظفين بالجمهور ، ويوجب الإسلام على الموظفين قضاء مصالح الجمهور بدون مقابل ، وبأسرع وقت ممكن ، وبأقل جهد ، ولا يمنع الإسلام أن يتولى هذه المصالح الرجال أو النساء ، والمسلمون أو غير المسلمين ما داموا متمتعون بحق المواطنين ، وفيهم الكفاية والمقدرة للقيام بالأعمال الإدارية .

٤ـــ يبين واقع النظام الإداري في الإسلام وواقع الإدارة من حيث كونها لا مركزيـــة ، وهذا يعني وجوب توسيع صلاحيات الموظفين حتى يعرفوا ما يلزم لقضـــاء مصـــالح النـــاس بدراستها عن كثب ، وذلك كي يسرعوا في إنجاز الأعمال وفض المشكلات . ومـــن أجـــل تسهيل المراجعة على النساء لقضاء مصالحهم تجعل مكاتب الإدارة في مكان واحد ، ويجعل في كل إدارة فرقة لإستراحة المراجعين ومكاتب إستعلامات لمساعدة الجمهور على المراجعـــة ، وتتخذ فيها السجلات والأضابير لتسجيل الأعمال وترتيبها .

٥ـــ يبين للطلبة نظام الإسلام في تعيين الموظفين وعزلهم سواء من حيث الشروط الـــتي يجب توفرها في الموظف أو سواء من حيث الحقوق والواجبات المتعلقة به . ويبين كذلك نظام الإسلام في الرقابة الإدارية والاجهزة القائمة عليها . فأساس التوظيف للوظيفة العامـــة هـــو صلاحية الفرد للوظيفة بمقدرته الفعلية على أداء العمل وما تتطلبه الوظيفة من علـــم فـــني أو إداري أو مهني بالإضافة ألى العلم الشرعي . وتتطلب الوظيفة الإلتزام بأحكـــام الإســـلام في العمل الإداري اليومي ، فالتقوى عنصر هام في سلوك الموظفين كي لا يتسلطوا على أمـــوال المسلمين أو يستبدوا بمصالحهم أو يفرطوا بها ، وكذلك الأخلاص في العمل والتفاني في أدائه في الإلتزام بمواعيد العمل وعدم صرف الوقت إلا لصالح الوظيفة العامة .

وأن يتقن عمله ويخلص في أدائه ، وأن يراعي الأمانة فيه بعدم إستغلال الوظيفة لمصلحته الخاصة في إختلاس الأموال العامة وقبول الرشاوى والهدايا ، وأن يكون عنصر الطاعة للقوانين الإدارية وللجهاز الإداري هو البارز على سلوك الموظفين .

٦ـــ يبين أن القيادة ليست هبة تولد مع الإنسان ، بل هي تأتي من الخـــبرة والـــتعلم ، وتبين كذلك مواصفات القيادة التي يجب أن تتوفر في الشخص حتى يتأتى له التـــأثير علـــى الآخرين ، ومن هذه الصفات ، الذكاء ، اللباقة ، الطموح ، قوة الشخصية ، علو الهمـــة ، والقدرة على الإقناع والإبداع والإبتكار ، وسعة الأفق ، والإيمان بالهدف . وهـــي كلـــها صفات ضرورية ولازمة ولكنها لا تكفي وحدها ، بل لابد من وضوح الرؤية السياسية لدى

القادة والمعرفة الدقيقة للبيئة التي يعملون فيها ، ومن فيها من سياسيين وزعماء وقادة وعلماء ورجال مؤثرين في الرأي العام وقادرين على تحويله للوجهة التي يريدون . ولابد للقيادة من مواجهة الأمة بالحقائق والعمل على تحريكها لتعمل معهم ، وهذا يحتاج الى قدرة سياسية عليا تكمن في حسن التخطيط ودقة التنفيذ والسرعة في الحركة لمواجهة كافة التقلبات والإحتمالات .

٧ــ تحدد واجبات القائد نحو مقودية ومدى علاقاته بهم ، فيبين كيف أن القائد يجب أن يلزم نفسه قبل غيره بما يتطلبه عمله من صبر وأمانة وتضحية وأن يكون قوله وسلوكه مطابقا لأحكام الشرع الإسلامي ، وأن يعامل مقوديه بالرحمة واللين فينصحهم إذا أخطأوا وشجعهم إذا أصابوا ويجادلهم بالحسنى لا بالقول الفظ الغليظ ، وعليه أن يكثر من استشارته لهم لأن العقل البشري لا يحيط بكل الأمور ، ولأن رأي الجماعة خير من رأي الفرد . وعليه بالإضافة الى ذلك أن يأخذ على عاتقه أمر إعداد أتباعه كي تتوفر فيهم المؤهلات لتولي الأعمال القيادية والإدارية عن جدارة واستحقاق .

٨ــ حتى يتأتى إيجاد القيادة الإدارية الناجحة في كل جهاز إداري ، لا بد من تحديد ركائز هذه القيادة والتي منها ، إعطاء الموظفين قدرا كبيرا من الحرية في وضع خطة العمل وتحديد الأساليب ، والأشراف العام الذي يتسم بالرقابة العامة غير الشديدة المتواصلة ، وإعطائهم التعليمات الضرورية غير المفصلة كي يبدعوا في العمل ويعتمدوا على أنفسهم دون الرجوع إلى القيادة في كل كبيرة وصغيرة .

٩ــ تبين مواصفات القيادة العسكرية والفارق بينها وبين القيادات الأخرى : السياسية والفكرية والإدارية . فالقائد العسكري يحتاج الى مهارة فنية خاصة في استعمال الأسلحة المتطورة ، ولا بد أن يتسم بالقدرة على وضع الخطط العسكرية والاستراتيجيات الحربية ، وذلك مع القدرة على التفكير في الوسائل والأساليب التي تحقق كسب المعركة والانتصار على

العدو . ولا غنى للقائد العسكري عن التقوى والاستقامة والاخلاص العميق والـــولاء التـــام للقضية التي يخدمها ، والاتصاف بالجرأة والشجاعة والمقدرة الفائقة في مواجهـــة الأزمـــات الطارئة والأحداث غير المتوقعة ، مع القدرة على التحرك السريع واتخاذ القـــرارات المصـــيرية والثبات في أرض المعركة ، واليقين بالله عزوجل وبنصره العزيز ، مع توفر الثقة التامة المتبادلة بينه وبين مقوديه . فالقائد الشجاع يقود رجاله الى النصر بينما القائد الجبان يقود رجاله الى الهزيمة .

مادة التفسير والحديث

١- يجب استبعاد جميع الابحاث التى الصقت بالتفسير وليست منه ، وذلك كاصناف العلوم والمعارف العامة التى الصقها طنطاوى جوهري في تفسيره ، وكالمجادلات الكلاميـــة في اصـــول الدين بين الفرق الاسلامية واهل الاديان وما يلحق بها من العلوم العقلية التى الصقها الـــرازي في تفسيره ، وكالابحاث اللغوية من نحو وصرف وبلاغة واعراب ونحوها من ابحاث اللغة التى توسع فيها ابو حيان الاندلسي في تفسيره حتى انه كان يذكر الخلاف بين النحويين ويناقش ويجادل كل فريق ويحمل على البعض منهم حملات قاسية . فهذه الابحاث التي الصقها المفسرون في تفاسيرهم قد اخرجت التفسير عن موضوعه حتى صار اقرب الى كتبة المنطق والفلسفة واللغـــة والتـــاريخ والعلوم الطبيعية منه الى التفسير.

٢- يجب حصر مصادر التفسير بمصدرين اثنين : التفسير المنقول او المـــاثور ، والتفســـير بالرأي ، مع التحري من صحة ما نقل من انواع التفسير المنقول سواء ما نقل عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم او ما نقل عن صحابته الكرام رضوان الله او ما نقل عـــن التـــابعين ، لان القصّاص والوضّاع قد زادوا فيه كثيرا . كما يجب الحذر من القول في القرآن بالرأى مـــن غـــير اعتماد على علم ثابت لان الرسول عليه السلام قد حذر من ذلك فقال : " من قال في القـــرآن برايه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار " (رواه الترمذي في التفســـير وابـــو داؤود في العلـــم

والنسائي في الفضائل عن ابن عباس) والمراد من قال في القرآن بما لا يعلم من لغة وشرع. كما ويجب الحذر من الاسرائيليات التي ادخلها اليهود في التفسير واعتمدوا فيها على نصوص التوراة ، والحذر من الاخبار والقصص التى ادخلها النصارى الذين اسلموا في التقسير ونقلوها عن الانجيل.

٣- على من يتعرض للتفسير ان يلم بما يسود في عصره من اراء واحكام ومذاهب ونظريات وفرق وحركات سياسية وفكرية واجتماعية ، وما يجرى فيه من تطورات علمية ونظريات في شتى العلوم المختلفة ، وتقدم في اشكال المعاملات وفي الاشكال المدنية ونحوها . وذلك لتحديد موقف الاسلام

منها ، ولاجل معالجتها بافكار واحكام الاسلام . فالتفسير يجب ان يكون صورة منعكسة لما في العصر من اراء ومذاهب ونظريات ونحوها كي يتنزل عليها القرآن فيعالجها علاجا جذريا وناجعا.

٤- يجب ان يتبين للطلبة الطريقة المثلى في التفسير وهي التي تتخذ اللغة العربية والسنة النبوية الاداة الوحيدة لفهم القران وتفسيره ، مع اطلاق العقل في فهم النصوص بمقدار ما يدل عليه كلام العرب ومعهود تصرفهم في القول ، وما تدل عليه الالفاظ من المعاني الشرعية الواردة بنص شرعي من قرآن او سنة ، وما ارشد اليه العقل في فهم ايات القران تبعا لتجدد معارف الانسان وتجدد الاشياء وتقدم الاشكال المدنية والوقائع والحوادث . مع الحماية من ضلال الوضع لمعان لا تمت الى النص المفسر بصلة من الصلات . والحذر من اخضاع القرآن للنظريات العلمية اذا ما تناقضت مع ما جاءت به الايات ، لان هذا يجعل القرآن الذى هو حقيقة نظرية ، ويجعل العلم الذي هو نظري حقيقة ، وهذا لا يجوز مطلقا .

٥- يجب ان يتبين ان الاسلوب الذي يجب ان يسير عليه المفسرون في هذا العصر هو الاسلوب الفكري لا الاسلوب الادبي ولا الاسلوب المنطقي ولا الاسلوب الفكري العلمي المجرد ، وفوق ذلك فانه يستحسن ان يسار فيه على مراحل ، فاولا يجرى التركيز على الايات التي من

شأنها احداث النهضة الفكرية في الامة بحيث تندفع نحو تطبيق الاسلام بحماس واخلاص كبيرين ، وثانيا يجري التركيز على النواحي التجريبية بعد وجود مفكرين ومجتهدين في الامة ، وثالثا يجري التركيز على النواحي العلمية بعد ان تكون الامة قد نهضت نهضة صناعية ومادية وصارت تمتلك احدث وسائل التكنلوجية المعاصرة ، وصار لديها عدد كبير من العلماء والمخترعين والمكتشفين .

٦- يجب ان يبين ان السنة دليل شرعي كالقرآن ، وانها وحى من عند الله تعالى ، وان الاقتصار على القران وترك السنة كفر صراح ، وهو رأى الخارجين على الاسلام . ولهذا يؤكد على انه لا يجوز ان يقال : عندنا كتاب الله نأخذ به ، لان ذلك يفهم منه ترك السنة . كما لا يجوز ان يقال : نقيس القران بالحديث ، وإن لم يطابقه تركناه ، لان ذلك يؤدي الى ترك الحديث ان جاء مخصصا للقران او مقيدا له ، او مفصلا لمجمله ، او متضمنا لتشريعات جديدة لم ينص عليها القران ، بل الامر في ذلك انه اذا جاء الحديث مناقضا لما جاء في القران قطعي المعنى ، فانه يكون الحديث مردودا دراية أى متنا ، لان معناه ناقض القران.

٧- يجب ان يبين الحديث الصحيح والحسن هما اللذان يحتج بهما فقط ، واما الحديث الضعيف فانه لا يحتج به مطلقا حتى ولو جاء من طرق متعددة ضعيفة ، فانه لا يرتقي الى درجة الحسن او الصحيح .

فقوة السند تعتبر شرطا في قبول الحديث . ولكن يجب دوام الحذر من رد حديث لمجرد ان طعن احد المحدثين في راويه ، وذلك لاحتمال ان يكون مقبولا عند راو اخر ، او لمجرد ان رده احد المحدثين لاحتمال ان يكون قبله محدث اخر ، او لان المحدثين ردوه لاحتمال ان يكون قد احتج به الأئمة وعامة الفقهاء . فلا يتسرع بالطعن في الحديث الا اذا راويه معروفا بانه مطعون فيه عامة ، او كان الحديث مردودا من الجميع ، او لم يحتج به الا بعض الفقهاء الذين لا دراية لهم بالحديث . فانه حينئذ يطعن في الحديث ويرد .

مادة العلوم العامة:

١ــ لا يصح ان تعطى العلوم كنظريات او حقائق علمية بحتة مجردة عن امور الإيمان بالله و اليوم الآخر ، و الإيمان بالسنن التي اودعها الله في الكون و في الإنسان و الطبيعة، و بوحدة هذه السنن او القوانين و كونها تجري بشكل ثابت لا يتخلف ولا قدرة لها في التصرف والإنتقال من حال الى حال ذاتياً ، بل هي مخلوقة لخالق و مسيرة بأمره و خاضعة لإرادته و مشيئته سبحانه. فلا بد من سريان روح الإيمان في جميع العلوم الطبيعية و التجريبية التي استوردناها من الغرب ، ذلك ان هذه العلوم تحصر الوجود كله في الطبيعة و الإنسان فقط ، و ترى ان الطبيعة قد وجدت هكذا بنفسها و كذلك السنن و القوانين فيها انما تعمل بنفسها ذاتياً و لم يوجدها اله ، و العقل في نظرهم هو وحده طريق المعرفة و ليس ثمة طريق آخر ، فلا مكان للوحي و النبوة عندهم و لا للجزاء و الحياة الخالدة في الآخرة و لا لسائر الغيبيات في تفكيرهم اي نصيب.

٢ــ لا بد من اعادة صياغة العلوم جميعها صياغة اسلامية ، و بعبارة ادق اقامتها على اساس العقيدة الاسلامية و على اساس التصور الاسلامي العام للوجود و ما فيه من كائنات و مخلوقات و اشياء. فكل نظرية علمية تتناقض مع العقيدة الاسلامية لا تؤخذ ، كنظرية داروين مثلاً ، و نظرية التطور المادي عند الشيوعيين و التي تنص على ان المادة من ذاتها تطوراً طبيعياً و حتمياً و لا يوجد شيء آخر طورها فلا يوجد اله ، و كنظرية نشوء الكون والتي تنص على ان الكون قد تشكل من كتلة غازية و قد تولد عنها انفجار كوني نشأت عنه المجرات و الكواكب و النجوم ، و تنص على ان الأرض انفصلت عن الشمس و بردت بعد مليارات السنين تقدر بـ ٤٠٥ مليارات. هذه النظريات و امثالها لا تؤخذ لأنها تتناقض مع العقيدة الاسلامية ، و تؤدي الى نتائج خاطئة في الحكم على الواقع و على الأشياء.

٣ــ يجب ان يبين ان القرآن و الحديث قد جاءا ديناً و شريعة لا معارف و علوماً ، لذلك فلا دخل لهما بأي علم من العلوم لا التاريخ و لا الجغرافيا و لا الطبيعيات و لا الكيمياء و لا غيرهما ، كما لا علاقة لهما بالإختراعات و الإكتشافات ، حتى و إن احتويا على امور كثيرة تتعلق بالعلوم و لكنها قد وردت بشكل اجمالي للفت نظر الإنسان الى خالقه و كون هذا الوجود كله مخلوق له ، كي يدرك الإنسان عظمة خالقه و دقة صنعه للأشياء و ابداعه لها فيوحده و يفرده بالعبادة و التقديس و يرجع اليه في كل مسألة و في كل مشكلة تواجهه في معترك الحياة. و وردت بسبيل بيان كون القرآن من عند الله لإحتوائه لحقائق كثيرة عن الكون و تكوين الإنسان و الحيوان و النبات و سائر الأشياء مما لم تكن معروفة من قبل ، و لم تصل اليها مدارك الإنسان في عصر نزول القرآن ، بل توصل اليه الإنسان على مراحل و طيلة اربعة عشر قرن من الزمان ، و لا يزال القرآن محلاً للتحدي الى يوم القيامة.

٤ــ يجب ان يبين ان تعلم العلوم العامة كالهندسة و الجبر و الحساب و الفيزياء و الكيمياء و الأحياء و الطب و العمارة و الفنون العسكرية و المدنية المختلفة ، يعتبر في نظر الإسلام عبادة من العبادات و فرض كفاية على المسلمين جميعاً ، و لا يسقط هذا الفرض عنهم حتى يقيموه و حتى يوجد الحشد الكبير من العلماء و المخترعين و المكتشفين الذين تحتاجهم الأمة في كافة الميادين. من اجل ذلك نبغ المسلمون ماضياً ايام دولة الخلافة التي كانت تشجع العلماء و تكرمهم ، نبغوا في كافة ميادين العلم و قادوا اكبر حركة فكرية و علمية عرفها التاريخ. فكانوا اصحاب النهضة العلمية التي شملت جميع دول العالم و التي كانت اساساً لما في العالم من علوم و فنون و صناعات و مخترعات.

٥ــ تعطى فكرة عامة عن جهود المسلمين في كل علم وفي كل فن إبتدعوه أو طوروه ، ويبين أن المسلمين قد نبغوا في كافة العلوم و لم يقتصر نبوغهم على علم دون علم . فالكيمياء تعتبر بحق علم المسلمين الذي أبدعوه ، والطب كان لهم فيه نهضة أخذها عنهم كافة الدول التي أرادت أن تتعلم الطب والعلاج ، وفي الطبيعة أوجدوا القوانين والمكتشفات

العلمية التي كانت أساس العلم الحديث ، فبنوا المراصد واكتشفوا قواعد علم الفلك ، ووضعوا الرسوم الجغرافية وطبقوا معلوماتهم عمليا ، فطافوا بمعظم جهات الأرض ، بل إنهم أول من توصلوا إلى حقيقة تكوين الذرة قبل أن يعرف العلم الحديث تكوينها بعشرات بل بمئآت السنين ، حتى أدهشت نهضتهم العلمية العالم كله وأدهش المؤرخين أكثر أن هذه النهضة شملت كافة ميادين العلم .

٦ــ يكتفي من العلوم على إعطاء ماله أثر في حياة الإنسان أو صلة به ومما لا غنى للفرد العادي عن معرفته وذلك كعلوم الطبيعة والبيئة ، وعلوم الطب والفضاء والغلاف الجوي ، أو العلوم المتعلقة بالظواهر الجغرافية وما شاكلها . فتعطى لمحة عامة عن الطب النبوي (الطب الوقائي والعلاجي) والطب في القرآن ، ولمحة عامة عن الجغرافية الكونية من مثل التنظيم الدقيق السائد في الكون ، ومظاهر قدرة الله المتمثلة في قانون التوازن الكوني وقوة التجاذب الرابطة بين الأفلاك ، وتمدد الكون وفكرة عامة عن الغلاف الجوي وتكوين السحب والأمطار والرعد والصواعق الخ .

مادة التكنولوجيا والصناعة

٥ــ يبين أن العلم والتكنولوجيا في هذه العصر قد صارا مصدر تهديد وخطر على الإنسانية جمعاء من جراء ما انتاجه من أنواع أسلحة الدمار كالقنابل الكيماوية والأسلحة النووية والأشعاعية الخطيرة ، ومن جراء الأزمات الاقتصادية والأخطار الفظيعة على البيئة والجنس البشري كأزمات البطالة وأخطار الأشعاعات النووية والكيماوية المنبعثة من المفاعلات والمصانع على الكائنات الحية . ولذلك كان لا بد من تصحيح النظرة لدى الشعوب والدول الى الأبحاث العلمية والمخترعات ، والتجارب والأبحاث المتعلقة بالتسليح وتطوير الأجهزة الالكترونية وما شاكلها .

٦ــ يبين أن الإسلام يبيح أخد العلم والتكنولوجيا من أي مصدر شريطة ألا يعارض العقيدة الإسلامية أو يضعفها ، وألا يؤدي إلى اختراع الأسلحة الفتاكة المدمرة التي تؤدي الى إفناء الشعوب ، الا في حال ما إذا كان العدو يمتلكها ويخشى أن يستعملها ضد المسلمين ، فإنه في هذه الحال يجوز لنا أن نصنعها . ولكن ذلك يجري بعد القيام بمحاولات لإيجاد رأي عام وعرف دولي لدى الشعوب قاطبة ضد السلاح النووي والذري وضد جيمع الأسلحة الفتاكة الأخرى كأسلحة حرب النجوم الأشعاعية وما شابهها ، فإذا فشلت هذه الجهود كلها كان لامناص لنا من تصنيع هذه الأسلحة لتحقيق التفوق المادي والعسكري والقوة الرادعة التي من شأنها أن تحول بين الدول الكبرى وبين استعمال هذه الأسلحة الخطيرة ضدنا .

٧ــ تعطى لمحة عامة عن الاختراعات والاكتشافات الحديثة ، وعن تطور الآلات والاجهزة الالكترونية ، وتطور المصانع والصناعات . كما تعطى لمحة عامة عن أنواع التكنولوجيا الحديثة في الحقل التجاري والصناعي والزراعي وفي حقل النقل والمواصلات ، والهندسة والبناء وما شاكلها . مع بيان كيفية البدء بالصناعات الثقيلة في البلاد الإسلامية سواء في ذلك الصناعات البتروكيماوية أو الألكترونية ، أو سواء في ذلك الصناعات النووية وصناعة الأسلحة وصناعة الفضاء ونحوها من أنواع الصناعات المختلفة . مع بيان مخطوط هذه السياسة الصناعية من قبل دولة الخلافة في المستقبل ، وكيف يتأتى لها أن تسير في طريق تحويل البلاد الإسلامية من بلاد زراعية الى بلاد صناعية .

تمت والحمد لله